

الدكتور إبراهيم عوض

# النايعة الجعدى وشعره

الألوكة  
[www.alukah.net](http://www.alukah.net)

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

# النابعز الجعدي وشجره

الدكتور إبراهيم عوض

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

دار النهضة العربية

٣٢ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

رقم الإيداع ٩٦ / ٢٦٠٦  
التقديم الدولي ٥-٢٠٤-١٩ - ٩٧٧

## المقدمة

تتناول هذه الدراسة حياة النابغة الجعدى وشخصيته وشعره . وقد كانت هناك عدة مسائل تحتاج إلى بحث وتمحيص ، مثل الكلام عن تعمييره ، الذى يتجاوز به بعض القدماء مائتى العام ، ومدى انسجام هذا مع قوله الشعر الجيد المتناسك وهو فى أخريات حياته ، وكمسألة تحنّفه ، التى تؤكدها الروايات القديمة ويسلّم بها من كتبوا عن الشاعر من المحدثين ، والتى أثبتت عن طريق تحليل وقائع حياته وملامح شخصيته وحديثه فى شعره عن ذكرياته الجاهلية أنها غير صحيحة بالمرة ، وكمسألة نسبة قصيدة « الحمد لله لا شريك له » ، التى اختلف مؤرخو الأدب العربى بشأنها ، فبعضهم جعلها لأمية بن أبى الصلت ، وبعضهم عزاها لشاعرنا ، وبعضهم قال إنها لنابغة بنى شيبان الشاعر الأموى المشهور ، والتى انتهيت من دراستى الفاحصة لمعانيها إلى أنها لا يمكن أن تكون إلا للنابغة الجعدى دون الشاعرين الآخرين ، وكفقولة الأصمعى التى ادعى فيها بأن الشعر قد لان وضعف فى الإسلام لدخوله حينذاك فى أبواب الخير ويُعده من ثمّ عن طريق الفحول من هجاء ووصف للفرس وما إلى ذلك ، والتى اقتضتني مناقشتها الرجوع إلى كل ما

أتيح لى من دواوين الشعراء المخضرمين حتى يكون حكى فى هذه القضية مستنداً إلى شىء صلب وليس مجرد كلام نظرى ، فتيّن لى على ضوء ذلك أن كلام الأصمعى هو حكم بلاحيثيات ، وأنه يناقض منطق الأشياء ووضع الشعر فى ذلك العصر ، ذلك الشعر الذى أثبت أنه لم يدخل كله فى باب الخير حسبما يفهم الأصمعى الخير ، بل ظلّ يتغزل ويهجو ويقذع أحيانا ويعمل على استثارة العصبية القبلية ، وذلك إلى جانب القضايا والمعانى الإسلامية التى جاء بها الدين الجديد والتى لا تلازم بينها وبين ضعف الشعر ولينه كما ادعى الأصمعى ، إذ إنها كسائر القضايا والمعانى الأخرى من حيث إن الشاعر قد يبدع فيها وقد يتهافت ، وذلك حسب طاقته الشعرية واختياره الوقت والحالة النفسية الملائمين لإنشاء القصيدة .

ومن المسائل التى تناولتها هذه الدراسة أيضا ما يردده الباحثون من قداماء ومحدثين من أن النابغة الجعدى كان مغلبا ما هاجى أحداً إلاَّ غلبَ أمامه . وقد أظهرت مناقشتى لهذه المسألة أنها مجرد كلام لا ينهض على أساس .

وقد ختمتُ الدراسة بفصل فى تقويم فن الشاعر واستخلاص السمات التى تميّزه وتجعله متفرد النكهة . والله ولى التوفيق .

## حياة النابغة وشخصيته

هو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام . والنابغة لقبه . وقد اختلف في السبب الذي من أجله أطلق عليه هذا اللقب : فمن قائل إنه لم يسبق له أن قال شعرا قبل أن يبلغ الثلاثين ، ثم سال لسانه به فجاءه فَعَدَّ هذا منه نبوغاً . ومن قائل إنه كان ينظم الشعر في الجاهلية ثم أرتج عليه هذا الباب ، ليعود إلى النبوغ فيه في الإسلام .

واسمه هو أيضا مختلف فيه : فهل هو حيّان بن قيس أو عبد الله بن قيس أو قيس بن عدّس ؟ أما كنيته فأبو ليلي .

ونفس الاختلاف نجده حول عمره : فبعضهم يكتفى بأن يبلغه إلى مائة وعشرين سنة ، وبعض يمدّه إلى المائتين ، وبعض ثالث يرتفع به عن ذلك ، والبعض ينزل به إلى مائة وثمانين . لكنه على أية حال كان معمرًا ، فإننا لو اكتفينا بأن عمره حين مات كان مائة وعشرين سنة لكان هذا دليلاً على تعميمه . ويقول مترجموه من القدماء إنه عاصر المنذر بن محرق والد النعمان بن المنذر ، وإنه أكبر من النابغة الذياني ، إذ لم يعمر هذا كما عُمِّرَ سَمِيّه الجعدى . وقد رأى بلاشير في الروايات التي تتحدث عن معاصرة الشاعر لوالد النعمان بن المنذر وأنه عاش

عمراً أطول من النابغة الذبياني مجرد أوهام ، دون أن يقدم دليلاً على ذلك (١) . إننا قد نستبعد أيضاً أن يكون النابغة قد عاش حتى جاوز المائتين أو حتى وقف عندها ، بل قد نستبعد أن يكون قد عمّر إلى أن بلغ مائة وثمانين سنة ، وذلك جرياً على ما خبرناه من أعمار غالبية الناس . لكن هذا شيء ووصف القول بأنه عاصر النعمان بن المنذر وأنه عمّر أطول من النابغة بأنه أوهام شيء آخر .

وإذا قمنا بعملية حسابية أساسها أنه وُلد في عصر المنذر بن محرق وأنه توفي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، إذ معروف أنه قد وفد على ابن الزبير بعد أن أصبح خليفة ( وكان قد بويع له بالخلافة سنة ٦٤ ) تبين لنا أن من غير المستبعد أن يكون قد عاش حتى جاوز أعوامه المائة بعشرين أو نحو ذلك . ذلك أن النعمان بن المنذر هذا قد ولي الحكم قبل مبعث النبي عليه السلام بأربعة وعشرين عاماً على ما يقول الطبري في تاريخه (٢) . فلو أضفنا الـ ٢٤ عاماً هذه إلى الـ ١٣ عاماً التي قضاها النبي عليه السلام في مكة بعد مبعثه ، إلى ٦٤ عاماً ما بين هجرته صلى الله عليه وسلم والمناداة بابن الزبير خليفة كان عندنا مائة عام وواحد . وهذا على فرض أن

الشاعر قد ولد في آخر سنة في ملك المنذر ، ووفد على ابن الزبير ثم مات، في نفس السنة التي بوع فيها خليفة . والمؤكد على الأقل أن تاريخ ميلاده كان قبل هذا التاريخ المفترض بكثير . ذلك أنه يقول في إحدى قصائده :

تذكرت والذكرى تهيج على الهوى      ومن عادة المحزون أن يتذكرا  
ندامى عند المنذر بن محرقٍ      أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا  
كهول وفتيان كأن وجوههم      دنابر مما شيف فى أرض قيصرا  
والإنسان لا يكون نديماً للملوك إلا إذا كان على الأقل شائباً .  
ومعنى هذا أن من المعقول جداً أن يكون النابغة قد بلغ المائة والعشرين عاماً إن لم يكن تجاوزها ( ٣ ) . ومن ثمّ فلا معنى لرفض بلاشير الذي مرت الإشارة إليه ، وبخاصة أنه لم يورد دليلاً عليه ولاحاول أن ينفي نسبة هذه الأبيات السالفة ، ولاتلك التى يقول فيها الشاعر :

ولقد شهدت عكاظ قبل محلّها      عنها ، وكنتُ أَعَدُّ م الفتيان  
والمنذر بن محرق فى ملكه      وشهدتُ يوم هجائن النعمان  
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى      وقوارع تتلى من القرآن  
بل إن النابغة قد قال بصريح اللفظ إنه قد عاش مائة سنة واثنى عشرة . ولم يكن هذا آخر شيء قاله . وقد ذكر فى ذلك الشعر أنه عاصر انتشار مرض الخنان . ويقول الذين ترجموا له



إن هذا المرض كان على أيام المنذر بن ماء السماء :

فمن يك سائلا عنى فإنى      من الفتيان أيام الخنان  
مضت مائة لعام ولدتُ فيه      وعشر بعد ذاك وحجتان  
فأبقى الدهر والأيام منى      كما أبى من السيف اليمانى  
تفَلَّل وهو مأثور جُرارًا      إذا جُمِعَتْ بقائمه اليدان  
وغير ذلك من الشعر ، فقد كان النابغة يكرّر الإشارة إلى طول  
عمره .

وقد أنكر د. شوقى ضيف نسبة مثل هذا الشعر إلى النابغة  
وأكد أنه مصنوع بلاشك عليه . إلا أنه لم يعمل على أن يذكر  
الأسباب التى دفعته إلى القول بالنحل (٤) . والحقيقة أنه ليس  
من المستحيل أن يكون مثل هذا الشعر قد صُنِع ونُحِل للنابغة ،  
بيد أن عدم الاستحالة فى مثل هذه الظروف لا يكفى . ولو جرينا  
على هذه القاعدة فى كل أبحاثنا لرفضنا تقريبا كل شىء لمجرد  
أنه غير مستحيل أن يكون الأمر بخلافه .

على أية حال فمن الواضح من هذه الشواهد الشعرية  
وغيرها أن الشاعر ظلّ محتفظا بقواه العقلية إلى آخر حياته رغم  
تعميره ، إذ لا يستطيع الإنسان أن ينظم مثل هذا الشعر وهو فى  
تلك السنّ المتقدمة ولا أن يفد على ابن الزبير بعد ذلك ويمدحه  
بمثل مامدحه به النابغة إلّا وهو يقظ العقل والإدراك ، نشيط

الإحساس والموهبة الأدبية .

ولعلّ هذه النقطة فى مسألة تعبير النابغة هى النقطة الوحيدة التى تتقلقل فى صدرى ، إذ يبدو لى غريباً أن يظل إنسان محتفظاً بصفاء عقله وجيشان مشاعره ونشاط موهبته الشعرية إلى هذا العمر المتأخر . ولكن ماذا يمكننى أن أفعل وهذا شعر الرجل بين أيدينا وليس ثمة سبب يدعونى إلى الشكّ فيه ، ولست واجداً شيئاً يمكن أن أسوّغ به أمام ضميرى القول بصنع هذا الشعر ونحله للنابغة ؟ ثم من ذلك الناحل ؟ وما مصلحته فى ذلك ؟ أو مادافعه إليه ؟ وهل يسوغ فى العقل أن نقول إنه قد تكررّ منه هذا النحل ؟ ذلك أن الأشعار التى يتحدث الشاعر فيها عن طول عمره متعددة كما رأينا .

ذلك ، وقد حُكيت أشعار عن أناس أعلى من هذه السنّ بكثير ، مثل أنس بن مدرك ، وهو شاعر مخضرم أيضاً كالنابغة . قال :

إذا ما امرؤ عاش الهنيذة سالماً	وخمسين عاماً بعد ذلك وأربعاً
تبذل مُرّ العيش من بعد حلوه	وأوشك أن يبلى وأن يتسععا
ويأذى به الأدنى ويرضى به العدا	إذا صار مثل الرأى أحذب أخضعا
رهينة قعر البيت ليس يريمه	لقى ثاويلاً لايبرح المهذ مضجعا
يخبّر عمّن مات حتى كأنما	رأى الصعب ذا القرنين أو راء تَبَعَا»

والهنيذة هى المائة . ومعنى ذلك أنه قال هذه الأبيات وقد

جاوزها بأربعة وخمسين عاما .

هذا ، ويبدو أنّ صحته لم تتخاذل رغم هذه السنّ العالية ، إذ يحكون عنه أنه لما وفد على عبد الله بن الزبير ومدحه أعطاه هذا أوساقاً من الحَبِّ والتمر فكان يأخذ الحَبَّ صحيحاً لم يطحن بعد ويأكله . ومعنى هذا أن أسنانه كانت لاتزال سليمة . فإذا بقيت الأسنان بهذه المتانة فلا بدّ أن تكون صحة صاحبها متماسكة على الأقل .

وقد نصّ القدماء نصّاً على أن أسنانه ظلت سليمةً رغم طول عمره ، وأرجعوا ذلك إلى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له عندما أنشده رائيته الشهيرة عام الوفود ، إذ قال مفاخرا بقبيلته :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنّا لنبغى فوق ذلك مظهرا  
فسأله النبي عليه السلام مستغربا : إلى أين يا أبا ليلى ؟ فردّ  
فى ثقة : إلى الجنة يارسول الله . فدعا له الرسول قائلا :  
لايفضض الله فاك .

وسواء أكانت قوة أسنانه وسلامتها رغم ذلك العمر المديد مرجعها إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام له أم كانت قوة طبيعية ( وفى هذه الحالة يكون كلام الرسول مجرد تعبير مجازى عن شدة إعجابه بالشعر ولباقة صاحبه فى الردّ ) (٦) ،

فإن من الصعب جدا علينا أن نقبل ماجاء فى بعض الروايات من أنه بسبب هذه الدعوة كان إذا سقطت له سنّ نبتت مكانها غيرها ، إذ إن فى هذا مخالفة تامة لما نعرفه عن هذا الأمر ، فالمعروف أن الإنسان لاتنبت له أسنان بعد مرحلة الصبا ، اللهم إلا مايسمونه « ضرس العقل » .

فإذا حاولنا استقصاء ماجاء فى سيرة حياته عن أحداث تلك الحياة مرحلة مرحلة لفت نظرنا أن أخباره فى الجاهلية تكان أن تكون فى حكم المعدومة ، ففىما عدا إشاراتة السريعة والعارضة فى قصائده عن منادمتة مثلا للمنذر بن محرق أو معاصرته لمرض الخُنان وما إلى ذلك لانعثر على شى ، اللهم إلا مايقال من أنه كان يجلس فى الجاهلية فى الموسم بعكاظ فتتحاكم إليه الشعراء ، فقدمت الخنساء يوما فأنشدته مرثيتها الرائية فى أخيها صخر ، فحكى لها بأنها أفضل شاعرة فى النساء قائلا : « أنت أشعر من كل ذات ثديين » ، فأجابته من فورها : « ومن كل ذى خصيتين » ، تريد أنها أشعر من الرجال أيضا (٧) ، ولا أدرى مدى صحة ذلك (٨) ، وكذلك أنه كان ممن فكر فى الجاهلية وأنكر الخمر والسُّكْر وماتفعل بالعقل وهَجَرَ الأزلام والأوثان وقال كلمته التى أوَّلها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما (٩)

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء لعواقبها.

وقد نقل بعض المعاصرين ذلك الكلام نقل المصدق له :  
منهم جرجى زيدان (١٠) ، والشيخان أحمد الاسكندرى  
ومصطفى عنانى (١١) ، والسيد أحمد الهاشمى (١٢) ،  
ومحقق الديوان (١٣) ، ود. يحيى الجبورى (١٤) ، ود. محمد  
طاهر درويش (١٥) ، ود. عمر فروخ (١٦) ، ود. محمد  
خضر (١٧) ، ود. عفيف عبدالرحمن (١٨) ، ود. محمود  
حسن أبوناجى (١٩) ، ود. خليل إبراهيم أبوذياب (٢٠) .

والواقع أن هذه مجرد دعوى مرسله لادليل عليها ، فشرع  
النابغة يخلو مما يمكن أن يتخذ دليلاً على ذلك أو حتى يعضده  
أو يشير إليه مجرد إشارة . بل العكس هو الصحيح ، فإن فى  
هذا الشعر ما يدل على خلافه ، فهو يقول :

قالت أمامة : كم عمرت زمانة      وذبحت من عثر على الأوثان !  
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها      عنها ، وكنت أعُدُّم الفتيان  
ومن الواضح أن « كم » هنا للتكثير لا للاستفهام ، مما  
يفيد أنه كثيراً ما تقرب بالقرايين للأصنام . كذلك فإن فى شعره  
ذكراً كثيراً لشربه الخمر فى الجاهلية ، حتى فى شعره  
الإسلامى ، مما يدلُّ على أنه لم يكن يشرب الخمر فى الجاهلية

وحسب بل على أنه أيضا لم يكن يجد حرجاً في الإشارة إلى ذلك حتى بعد أن أسلم . ومن هذه الأشعار قوله في قصيدته التي أنشدها بين يدي معاوية بن أبي سفيان :

وصهبا، لأتخفى القذى وهى دونه      تُصَفَّقُ فى راووقها ثم تُقَطَّبُ  
شربت بها والديك يدعرو صباحه      إذا ما بنو نعش دنوا فتصويوا  
وقوله :

وقهورة صهبا، باكرتها      يَجُهِمَةُ والديك لم ينعب  
ليس ذلك فقط ، فإنه حتى في رائيته التي أنشدها بين يدي النبي عليه السلام حين وفد عليه في السنة التاسعة للهجرة مع قومه لإعلان الإسلام نراه يقول :

تذكرت شيئا قد مضى لسبيله      ومن حاجة المحزون أن يتذكرا  
ندامى عند المنذر بن محرق      أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا  
كهولا وشباناً كأن وجوههم      دنانير مما شيف فى أرض قيصرا  
إذا ملك من آل جفنة خاله      وأعمامه آل امرى، القيس أزهررا  
يرة علينا كأسه وشواءه      مناصفةً والشرعبي المحبّرا  
وراحا عراقيا وربطنا يمانيا      ومُعْتَبَطاً من مسك دارين أذفرا  
ومن الواضح رنة النشوة والابتهاج والفخر فى هذه الأبيات .

كذلك فإن تشبيهه ريق حبيسته بالخمر ( وأى خمر ؟ إنها :  
... قرقفّ سلافنة      إسفنت عقاؤ قليلة الندم  
ألقى فيها فلجان من مسك      دارين وقلج من فلفل ضم )  
ليدل على أنه بالخمر جدّ بصير .

كما أن قصائده ترينا أنه كان يعيش في الجاهلية كسائر الجاهليين يخوض معامع المعارك القبلية ويسبى النساء ويفاخر بقومه مفاخرة من لا يرى لهم في الحياة كفنا ولانظيراً مع احتقار شديد للقبائل الأخرى . وهذا الكلام إنما تتضمنه في الغالب قصائده الإسلامية ، مما يبرهن لنا على أن هذه الروح ظلت مشتعلة لم تحب حتى في الإسلام . ورجلٌ بهذه الشخصية من الصعب جدًّا الصعب علينا أن نتصوره من المنصرفين في جاهليته دونما سبب قاهر عن عقائد قومه وعاداتهم ونهج حياتهم إلى البحث عن حقيقة الأديان . ويؤكد هذا تأكيداً قويا شعره الفخرى والهجائى الإسلامى ، فمثل ذلك الشعر لاينبىء بأن صاحبه من المفكرين والمتأملين الذين يؤثرون الحياة الساكنة .

فإذا أضفنا أنه لم يتطرق في شعره إلى شىء يفهم منه أنه كان على دين إبراهيم وأنه كان نابذاً للأصنام تبين لنا أن ما قيل عنه في هذا الصدد هو كلام مجرد كلام .

كذلك فلو كان في الجاهلية على الصورة التى رسمتها لنا تلك الرواية لما تأخر في الوفود على النبى إلى أخريات حياته صلى الله عليه وسلم ، فإن شخصاً بهذا الشكل ماكان ليصير على المجىء إلى النبى ، ولو لمجرد الاستطلاع ، اثنين وعشرين

عاماً كلها ممتلئة بالأحداث والصراعات الرهيبة بين ذلك النبي ودينه من جهة وبين الكفار بأصنامهم وخرمهم وزناهم وعدوانهم وكبرهم من جهة أخرى .

أما القصيدة التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما  
بما فيها من كلام عن التوحيد والبعث والجنة والنار والتقوى  
والالتفات إلى آيات الكون والخلق باعتبارها دلائل على وجود الله  
وقدرته وعظمته ، والتي يقول بعض القدماء إن النابغة قد نظمها  
في الجاهلية كما مرَّ بنا فسوف نبين في موضعه أن الأمر فيها  
لا يمكن أن يكون كذلك وأنه إنما نظمها في الإسلام .

بل إن في القصيدة اللامية التي ألهاها بين يدي النبي  
بيتين يدلان بأجلى دليل على أنه لم يكن في جاهليته من ناحية  
الدين بالصورة التي تقدمه لنا بها الرواية السابقة وأنه إنما  
استطاع ( بالكاد ) أن يعلن إسلامه في حياة الرسول وقبل أن  
يبادره أجله :

حتى أتى أحمد الفرقان يقرؤه فينا ، وكنا بغيب الأمر جهالا  
فالحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى لبست من الإسلام سريالا  
وحتى في الرائية التي ألهاها وهو واقف بين يدي الرسول  
صلى الله عليه وسلم نجده يفخر بقومه فخرا عنيفا يكاد يتفجّر



من عنفه ، وينقض بصواعق هجومه على خصوم قبيلته . ولو كان على دين إبراهيم عليه السلام لانصرف على الأقل إلى الكلام عن رحلة بحثه عن الحقيقة وذكر تحننه في الجاهلية وكيف أن إسلامه كان نتيجة طبيعية لذلك .

أما قوله فيها :

وطوفتُ في الرهبان أعْبُرُ دينهم وسيّرتُ في الأبحار مالم تسيّرا  
فهو بيت يتيم في ديوانه من جهة . ومن جهة ثانية فقد شرع بعده مباشرة يتذكر أيامه عند المنذر بن محرق ومنادمته له وشربه الخمر هناك ... إلخ ، مما لا يتناسب مع ذلك البيت ، وهو ما يدل على أنه ليس إلا كلاماً عابراً . ومن جهة ثالثة ، وهذا هو المهمّ ، فإن هذا البيت يتحدث عن الرهبان والأبحار ، وهؤلاء دينهم شيء ودين إبراهيم شيء آخر . ثم إنه يقول إنه كان ينظر في دينهم ويحاول التعرف إليه لا إنه قد استقرّ على دين معين ومارس شعائره . وليس في كلامه أية إشارة إلى صيام أو استغفار على حسب ماتدّعى الرواية التي نحن بصددها مناقشتها .

ثم إنه يقول عقيب ذلك البيت :

فأصبح قلبي قد صحا ، غير أنه وكل امرئ لاقٍ من الدهر قنطرا  
وهو ما يعد اعترافاً منه بأنه كان في الجاهلية ضالاً ، فلما وفد

على محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به أفانق من هذا الضلال .  
وأخيراً فإن رجلاً يقول فى الإسلام لامرأة ( هى ليلى

الأخيلية ) ، وكانت قد ناصرت بعض أخصامه :

ألا حَيِّيا ليلى وقولا لها : هَلَا فقد ركبَتْ أمراً أغرَّ محجَّلاً  
دعى عنك تهجاء الرجال وأقبلى على أذْلغِي يَمَلا استك فَيُشَلَا  
بُرَيْدِينة بَلِّ البراذينُ تُفَرِّها وقد شَرِبَتْ فى أول الصيف أَيْلا (٢١)  
ليس من السهل أبدا علينا أن نقتنع بأنه كان متحنفا فى  
الجاهلية . هذا ، ونضرب عن الاستشهاد بالبيت الذى ورد فى  
قصيدته السابقة التى ألقاها على مسامع الرسول وأصحابه ،  
ونصه : :

إذا أنعظ السعدى قَبْلَ تَبْرُهُ وألقمه فاه فكان له جِرا  
لأنه إنما ورد فيها على إحدى الروايات فقط (٢٢) ، أما  
الروايتان الأخريان فلا تعرفانه (٢٣) ، ولم يذكره صاحب  
« الجمهرة » ضمن القصيدة ، علاوة على أن الخيال فيه يبدو لى  
أليق بالعُصور التى تلت صدر الإسلام لا ذلك العصر .

هذا ما قيل عن جاهلية النابغة الجعدى ، وذلك رأينا فيه .  
أمَّا فى الإسلام فإتنا نفاجاً به عضوا فى وفد قبيلته الذى قدم  
على الرسول صلى الله عليه وسلم عام الوفود ينشده رائيته التى  
تكررت الإشارة إليها ، ومطلعها :

خَلِيئٌ ، غُضًّا سَاعَةً وَتَهَجَّرا

ولوما على ما أحدث اللعمر نو ذرا (٢٤)

والتى أبدى النبي إعجابها بها ودعا له ألا يُفَضَّ فوه ، مما سبقت الإشارة إليه .

وقد ذُكر أنه وفد على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب

رضى الله عنه وأنشده سينيته التى يقول فى مطلعها :

لِسْتُ أَناساً فابْلَيْتَهُمْ وَأبْلَيْتَ بَعْدَ أَناسِ أَناساً  
وَأَن عَمْرَ سَأَلَهُ عَن مَدَى طَوْلِ عَمْرِهِ فَأَجابَهُ بِأَنَّهُ عاصِرُ ثَلَاثَةِ  
أَجِيالٍ كُلِّ جِيلٍ سِتُونَ عَاماً .

وفى عهد عثمان رضى الله عنه نسمع به وقد ضربه أبو

موسى الأشعري أسواطاً لأنه خرج مع عصبة له استجابة لنداء

سمعه من قومه يصيحون به على أفراد القبيلة أن يخرجوا

لنصرتهم ، عندما بعث فى طلبهم أبو موسى حين رعوا زرع

الدولة فيما يبدو . وقد قال شاعرنا فى أبى موسى الأبيات

التالية مفتاظاً ، وله كل الحقّ إن كان كل ما فعله هو ما حكته

لنا القصة :

رَأَيْتُ الْبَكْرَ بَكْرَ بَنى ثَمُودٍ وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكْرَ الْأَشْعَرِنَا

فَإِنْ يَكُنْ ابْنُ عَفانٍ آمِيناً فَلَمْ يَبْعَثْ بِكَ الْبِرَّ الْأَمِينَا

فِيا قَبْرَ النَّبىِّ وَصاحِبِيهِ أَلَا يَا غوثِنَا لَو تَسْمَعُونَا

أَلَا صَلَّى إِلَهُكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا صَلَّى عَلَى الْأَمْرَاءِ فِينَا

ونشهده فى عهد عثمان أيضاً وقد أتاه يودعه مسافراً إلى

مضارب قومه فى البادية ، فقد غلبه الحنين إلى الوطن على

نفسه ، فذكره عثمان رضى الله عنه بأن المهاجر لا يصح له أن يعود إلى دياره لأن ذلك مكروه . ومع هذا فقد نزل عثمان على رغبته وسمح له بالعودة إلى دياره على أن يرجع إلى المدينة مرة أخرى بعد أجلٍ ضربه له . وتمضى الرواية فتقول إنه قد مرَّ بابنى علىّ : الحسن والحسين رضى الله عنهما وأنشدهما ميميته التى تبتدىء بقوله :

الحمد لله لاشريك له من لم يقلها فنفسه ظلماً  
أما فى عهد على كرم الله وجهه فقد انضم إلى صفوف جيشه ينصره بالسنان واللسان . وفى معركة صفين سمعه يهتف مشيدا به وهاجيا معاوية وبنى أمية متهما إياهم بالنفاق وداعيا عليهم بالفشل :

قد علم المصران والعراقُ أن عليا فحلها العُتْـاقُ  
أبيض جحججاج له رواقُ وأمه غالى بها الصداق  
أكرم من شُدَّ به نِطاقُ إن الألى جازوك لا أفاقوا  
لهم سباق ولكم سباق قد علمت ذلكم الرفاق  
سُقُّم إلى نهج الهدى وساقوا إلى التى ليس لها عراقُ  
فى ملّة عاداتها النفاق

وكان معاوية ، بعد أن استقر الأمر له ، قد أمر مروان واليه على المدينة أن يأخذ أهل النابغة وماله ، فأتى النابغة معاوية وقد أعدّ قصيدة شديدة لاتخلو من تهديد يستنكر فيها ماوقع

من غبن عليه وعلى آله . وليس في القصيدة أى استعطاف ،  
على عكس ما يذهب إليه د. شوقي ضيف ( ٢٥ ) ، إذ لاشك أن  
الآبيات التالية ، وهى بعض أبيات القصيدة ، أبعد ماتكون عن  
روح الاستعطاف :

فَسَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي ابْنَ هَنْدٍ بِحَاجَتِي	على النأى ؟ والأنباء، تمنى وتُجَلِّبُ
فَإِنْ تَأْخُذُوا أَهْلِي وَمَالِي بِظَنَّةٍ	فإنى لجراب الرجال مُجَرَّبُ
صَبْرٍ عَلَى مَا يَكْرِهُ الْمَرْءُ كُلَّهُ	سوى الظلم . إني إن ظَلِمْتُ سَأَغْضَبُ
وَلَمَّا رَأَيْنَا أَنْكَمَ قَدَّ كَثَرْتُمُو	وخبب إليكم كل حى وأجلبوا
عَرَانَا حِفَازٌ ، وَالْحِفَازُ مَهَالِكُ	إذا لم يكن من ورده متنكبُ
فَجَنَنَّا إِلَى الْمَوْتِ الصُّهَابِيِّ بَعْدَمَا	تجرد عريان من الشرّ أخذب
فَلَمَّا قَضَيْتُمْ كُلَّ وَتَرٍ وَدَمْنَةٍ	وأدركم نصر من الله معجب
وَأَدْرَكْتُمُ مَلِكًا خَلَعْتُمْ عِذَارَنَا	كما خلع الطرف الجواد المجرَّبُ
وَمَالَ السُّوَلَاءِ بِالْبَلَاءِ فَمَلْتُمُو	علينا ، وكان الحق أن تتقربوا
رَلَا تَأْمَنُوا الدَّهْرَ الْخِزُونَ ، فَإِنَّهُ	على كل حال بالسورى يتقلب
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَيْرَ لَيْسَ بِدَائِمٍ	علينا وأن الشر لاهو يرتبُ

وإن القصيدة التى ساقها صاحب « الأغانى » مع هذه  
القصيدة لدليل أيضا على مانقول ، فهى تذكر أن معاوية قد  
ثاب إليه الرشاد ورجع عما كان أمر به فى آل النابغة وماله  
وسقّه رأى مروان ، الذى كان يصرّ على العقوبة انتقاما من  
النابغة لمؤازرتة عليّا كرم الله وجهه ، قائلا له : « ما أهون ،  
والله ، عليك ان ينجحر هذا فى غار ثم يقطع عرضي علىّ ثم

تأخذه العرب فترويه ! أما والله إن كنتَ لمَن يرويه . اردد عليه كل شيء أخذته منه » (٢٦) .

ومثل هذه الأبيات عنفا واستنكاراً بيتاه التاليان ، وقد قالهما أيضا معاوية في نفس الموضوع ، وألحقهما بالقصيدة السابقة لما رآها لم تأت بالنتيجة المطلوبة :

ألم تأت أهل المشرقين رسالتى ؟ وأى نصيح لايبيت على عتري ؟  
ملكتم فكان الشر آخر عهدكم لنن لم تدارككم حلوم بنى حرب  
وليس فى ديوان النابغة أى مديح لمعاوية أو لأحد من آل  
بيته ، ولكن فيه مديحا لابن الزبير قاله فيه عندما أتاه  
يستغيثه لقومه من مجاعة حلت بهم . قال :

حكيت لنا الصئيق لنا ولينا وعثمان والفاروق فارتاح مُعْهِدِمْ  
وسويت بين الناس فى الحق فاستروا فعاد صباحا حالك الليل مظلم  
أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جوابُ الفلاة عشم  
لتجبر منه جانبا دَعَعَتْ به صروفُ الليالى والزمان المصمّم

ولكن الغرب أنه لم يذكر اسم على مع الخلفاء الثلاثة  
الآخرين الذين جعلهم مثلاً أعلى يحتذيه ابن الزبير فى سيرته مع  
رعيته . ولست أدرى السبب فى هذا ، فقد كان الشاعر كما  
عرفنا من أنصاره الأوفياء ، بل من الذين احتملوا الضرّ فى  
سبيل هذه النصره بعد وفاته كرم الله وجهه كما مرّ بنا . ولعلّ  
الفترة التى تولّى فيها علىّ أمور الأمة بما امتلأت به من الفتن

والقلاقل والحروب فى كل الجبهات لم تترك له الفرصة ليظهر عدله ورحمته بالرعية ، ومن ثمّ فلم يخطر على بال النابغة أن يذكره فى هذه النقطة مع رفاقه الثلاثة الآخرين ، رضى الله عن الجميع . أقول : « لعل » ، ولا أزيد .

وهناك أبيات يخاطب فيها النابغة زوجته ، التى كانت فيما يبدو تعارض خروجه للجهاد وتركها هى والأولاد دون عائل يرعاهم ويعطف عليهم ، فهو يحاجّها بأن خروجه للحرب فى سبيل الله أمر حتمى أوجب عليه الدين فلا فكاك منه . وهذه الأبيات تقول :

باتت تذكرنى بالله قاعدة      والدمع ينهلّ من شأنهما سبلاً  
يا ابنه عمى ، كتاب الله أخرجنى      كرها . وهل أمنعّ الله مافعلا ؟  
فإن رجعت فرب الناس يرجعنى      وإن لحقت برى فابتغى بدلا  
ماكنت أعرج أو أعمى فيعذرنى      أو ضارعا من ضنّى لم يستطع حولا  
وهى تدل على أنه اشترك فى الجهاد فى سبيل الله . لكننا لانعرف فى أى تاريخ ، وهل كان ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو فى عصر الصديق أو الفاروق أو عثمان أو بعد ذلك .

وقد « قيل إن موت الجعدى كان بسبب ليلى الأخيلية ، إذ فرّ من بين يديها فمات مسافرا . والأصح أنها هى التى ماتت

فهذه أخبار النابغة التى وصلتنا . ومن هذه الأخبار قد يمكن أن نستخلص بعض سمات شخصيته : إنّه شديد العصبية لقومه ، لا يكفّ عن المفاخرة بهم والاستجابة لندائهم حتى لو كان استصراخهم ضدّ الدولة نفسها وواليتها ، مما جعل أبا موسى يضره أسواطاً . ويتصل بذلك رثاؤه الواله فى أخيه . ولا أظن النابغة كان مقدما ذا رئاسة فى قومه ، وإلا ماجرؤ أبو موسى على أن يفعل به مافعل ، ولا كانت هذه الحادثة لتمر بهذه البساطة .

وإن أبياته التى قالها فى وجه اعتراض زوجته على خروجه للمشاركة فى الغزو وتشبثها بأن يبقى معها هى وأولادهما لتوحى بقوة إيمانه واندفاعه فى سبيل نصره الله والإسلام ، فهو لايلين ولايحاول حتى تلطيف الأمر عليها ، بل يعالنها بكل قوة وحسم أن ذلك أن لامرّة له ، لأنه واجب دينى ، والواجب الدينى ليس فيه كلام ولا منه افكاك .

ومن الواضح أن النابغة كان يحب آل البيت حبّاً خاصاً : نعرف ذلك من أنه حين أذن له عثمان بالعودة إلى دياره لبعض الوقت تخفيفاً للحنين الذى كان يعانیه مرّاً بابنى عليّ : الحسن



والحسين وأنشدهما الميمية المشهورة التي سلف الحديث عنها ، وكذلك من وقوفه مع عليّ ضد معاوية . بل إنه من شدة إعزازه له كرم الله وجهه كان يأخذ بخطام بعيره في صفين وهو يرتجز بالأبيات التي أسلفناها في الإشادة به وبكرم عنصره وهجو بني أمية والدعاء عليهم .

وقد رأيناه بعد أن استتب الحال لمعاوية فأخذ ينتقم من أنصار عليّ يفد عليه بقصيدة شديدة اللهجة يطلب منه أن يفكّ أهله وماله اللذين كان قد أمر مروان أن يأخذهما . وهي قصيدة تدل من جهةٍ على وفائه لعلي ، إذ لم يحاول قط الاعتذار لمعاوية عن معاضدته له ولو على سبيل التقية ، ومن جهة أخرى على شجاعته وصلابته . وهذه إحدى سمات شخصيته أيضا .

كذلك كان في النابغة شيء من خشونة البادية وصراحتها العارية في التعبير ، فإن في أشعاره بعض الألفاظ والعبارات التي يُحْتَشَمُ منها ، رأيناه يقولها في بساطة من لا يشعر فيها بشيء يُسْتَحَى منه . وقد ردّت ليلي الأخيلية على بعض هجائه العارى بهجاءٍ عارٍ مثله لم تستح هي أيضا منه ، مما سنتعرض له لاحقا . ومن هذا الباب أيضا كلامه للخنساء بسوق عكاظ في تقدير شعرها ، مما مرّ بنا مع جوابها عليه .

كذلك فإن آيياته التى فيها استطالة أمامة لعُمره واستكثارها ما ذَبَحَ من عِترٍ على الأوثان لتبين لنا أن خلة الصراحة والتعبير المباشر عما فى نفسه هى من خلال شخصيته . ومثل ذلك آيياته فى هجاء زوجته ، وكان قد طَلَّقَها ، فكانت تأتية فى المنام ولاتركه يهنأ بحياته ، مما جعله ينظم فيها شعراً يشتمها فيه ويتهكم بها وبتصرفاتها الحمقاء فى بيت الزوجية ، فهى تدل على أنه لم يكن يتحرج من نفى ما بدخيلة نفسه وبيته على أبصار الناس وأسماعهم . وسوف تتعرض لتلك الأبيات فيما بعد . ومن هذا القبيل أيضاً أنه عندما أمر ابنُ الزبير بوسق عدة جمال له بالحَبِّ والتمر أقبل على الحَبِّ يأكله صحيحاً من الجوع أمام الحاضرين ، غير منتظر حتى يُطْحَنَ . وكان إذا تغير له قلب صديق أعطاه صفحه وانصرف عنه لايبالى . هكذا قال فى شعره . فهو إذن ليس من ذلك الصنف من البشر الذى يصبر إن رابه من صديقه شىء، ويسامحه مؤملاً أن يعود الود بينهما كما كان ، بل يجازى على الفتور والهجر بفتور وهجر مثله .

وعندما طال به الدهر أخذ يتحسر على شبابه الذى ولى ، مُذْكَراً فتوته وأطباءه للغيث الحسان ، اللانى أصبحن الآن

يتنكبته بعد أن صوّح زهره وجفت خضرته .

وهو لا يجد حرجاً ، أثناء استرجاعه ذكريات الماضي ، في أن يفتخر أيضاً بشرب الخمر ومنادمة المنذر بن محرّق عليها ، رغم أنه كان قد أسلم بأخرة ، أي بعد أن كانت الخمر قد حُرِّمت (٢٨) .

## الهوامش

- ١- بلاشير / تاريخ الأدب العربي / ترجمة د. إبراهيم انكيلاني / دار الفكر / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ٥٦٣ . والمالك الذي استبعد بلاشير معاصرة النابغة له هو النعمان لا أبوه . ولا أدري السبب في هذا التبديل .
- ٢- تاريخ الطبري / ليدن / ١ / ٩٠٠ .
- ٣- بل أحيانا ما نسمع في عصرنا عن أناس نيفوا على هذه السن . وعادةً ما يكونون من سكان الجبال ، وطعامهم عادة اللبن والأغذية غير المطبوخة . ولعلّ البيئة الصحراوية تشبه المناطق الجبلية في هذا : فالأطعمة غير معقدة ، والقلق المصاحب للازدحام العمراني والتقدم الحضاري غير معروف ... إلخ .
- ٤- انظر كتابه « العصر الإسلامي » / دار المعارف / ط ٧ / ١٠٢ .
- ٥- انظر السجستاني / المعمرن والوصايا / تحقيق عبدالمنعم عامر / عيسى البابي الحلبي / ١٩٦١ م / ٤٢ - ٤٣ .
- ٦- كما أن دعاءه لأحد الصحابة بـ « تربت يدك » هو مجرد تعبير مجازي عن شدة الحث على الزواج لا دعاء عليه بالفقر (بخارى / نكاح / ١١ ، وأبو داود / نكاح / ٤) . ومن ذلك الباب أيضا قوله عليه السلام لصحابي آخر : « شكلك أمك » . وبطبيعة الحال لا يمكن أن يقصد الرسول بذلك أن يدعو عليه بالهلاك وتشكله أمه فعلاً ، بل هو مجرد استنكار لما فعله ذلك الصحابي ( البخارى / أذان / ١١٧ ، وابن ماجه / فتن / ١٢ ، ٢٦ ) .
- ٧- انظر ابن نباتة / سرح العيون في شرح رسالة ابن زيلون / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي / ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م / ٤٢٥ - ٤٢٦ .
- ٨- يقول د. ناصر بن سعد الرشيد إن « حَكَمَ العرب في عكاظ هو النابغة الذبياني » . ثم يتساءل بعد قليل : « هل هناك حكم أدبي غير النابغة ؟ » ليجيب بأنه « لم تذكر كتب الأدب والتاريخ اسماً آخر غيره » ، وهو لا يستبعد أنه كان هناك

حكام أدبيون آخرون أهملت ذكرهم الكتب ( سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام / دار الأنصار / القاهرة / ط ١ / ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م / ٤٠ - ٤١ ) . على أية حال ، هذا هو ابن نباته يذكر النابغة الجعدى أيضا ، وإن لم يخبرنا من أين استقى هذا الخبر .

٩- الأغاني / مؤسسة عز الدين / بيروت / ٤ / ١٣٠ . وانظر شيئا قريباً من ذلك فى « الاستيعاب » لابن عبد البر / المكتبة التجارية الكبرى / ٣ / ٥٥٣ ، و « خزنة الأدب » للبغدادى / المطبعة الأميرية / ط ١ / ١ / ٥١٤ .  
١٠- انظر كتابه « تاريخ الآداب العربية » / مراجعة وتعليق د. شوقى ضيف / دار الهلال / ١ / ١٥٥ .

١١- انظر كتابهما « الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه » / دار المعارف / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / ١٦٣ .

١٢- انظر كتابه « جواهر الأدب » / المكتبة التجارية الكبرى / ط ٢١ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م / ٢ / ١٤٤ .

١٣- ديوان النابغة الجعدى / تحقيق عبدالعزيز رباح / المكتب الإسلامى / دمشق / ط ١ / ١٠٨٤ هـ - ١٩٦٤ م / ل .

١٤- انظر كتابه « شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه » / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ٢ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ٢٢٨ .

١٥- انظر كتابه « حسان بن ثابت » / دار المعارف / مكتبة الدراسات الأدبية رقم ٤٣ / ٤٧ .

١٦- انظر كتابه « تاريخ الأدب العربى » / دار العلم للملايين / بيروت / ط ٤ / ١٩٨١ م / ١ / ٣٤٢ .

١٧- انظر كتابه « أدب صدر الإسلام » / بيروت / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ٢٥٠ .

١٨- انظر كتابه « معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين » / دار العلم / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / ٣٥٧ .

- ١٩- انظر كتابه « شعراء العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الإسلام » / مؤسسة علوم القرآن / دمشق وبيروت / ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ١٣٦ .
- ٢٠- انظر كتابه « النابغة الجعدى - حياته وشعره » / دار القلم ( دمشق ) والمنارة ( بيروت ) / ط ١ / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م / ١٦٠ . وقد وقع لى هذا الكتاب بعد انتهائى من هذه الدراسة بشهور ، فأحلتُ إليه في المواضيع التى رأيت أنها تتطلب ذلك .
- ٢١- « هَلَا » كلمة يُصاح بها على الناقاة حين يطرقها الفحل لتستكين لما يفعله بها . والأذلقى الفيشل : الذَّكَر الضخم . وفي البيت الثالث يتهمها باستيلاء الغلمة والاهتياج عليها .
- ٢٢- شعر النابغة الجعدى / ٥٩ .
- ٢٣- السابق / ٦٩ و ٧٣ وما بعدها حيث لاوجود له في المكان الذى كان يحتله في الرواية الأولى .
- ٢٤- ص / ٣٥ ، ٦١ ، مع إبدال « عَوْجًا » بـ « غُضًّا » في الرواية الثانية .
- ٢٥- العصر الإسلامى / ١٠٢ .
- ٢٦- الأغانى / ٤ / ١٣٨ .
- ٢٧- العمدة / تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد / المكتبة التجارية الكبرى / ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م / ١ / ١٠٦ . وانظر أيضا « خزانة الأدب » / ٣ / ٣٣ .
- ٢٨- انظر في ترجمة النابغة وأخباره : السجستاني / المعرّون والرصايا / ٨١ ، ٨٢ ، وابن قتيبة / الشعر والشعراء / تحقيق أحمد شاعر / دار المعارف / ١ / ٢٩٨ وما بعدها ، ولجن سلام / طبقات فحول الشعراء / تحقيق محمود شاعر / مطبعة المدنى / القاهرة / ١ / ١٢٣ وما بعدها ، والأغاني / ٤ / ١٢٦ وما بعدها ، والمرزبانى / اللوشح / تحقيق على محمد البجاوى / دار نهضة مصر / القاهرة / ١٩٦٥ م / ٨٩ وما بعدها ، و « معجم الشعراء » له أيضا ، وأمالي المرتضى / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / عيسى البابى الحلبي / ط ١ / ١٣٧٣ هـ .

١٩٥٤ م / ٢٦٣ وما بعدها، وجرجى زيدان / تاريخ آداب اللغة العربية / ١ /  
١٥٥ ، والإسكندري وعنانى / الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه / ١٦٤  
وما بعدها ، ود. شوقى ضيف / العصر الإسلامى / ١٠٠ وما بعدها ، ود. يحيى  
الجبورى / شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه / ٢٢٧ وما بعدها ، وحنا الفاخورى /  
تاريخ الأدب العربى / المطبعة البولسية / ٢٤١ - ٢٤٢ ، وولائير / تاريخ الأدب  
العربى / ترجمة د. إبراهيم كيلانى / ٥٦٣ - ٥٦٥ ، ود. عمر فروخ / تاريخ الأدب  
العربى / ١ / ٣٤٢ - ٣٤٤ ، والمقدمة التى كتبها محقق « شعر النابغة » . وقد  
وقع فى يدي بعد ان انتهيت من هذه الدراسة كتاب د. خليل إبراهيم أبوزياب / النابغة  
الجعدى - حياته وشعره . وقد تناول فيه حياة النابغة وشخصيته ( ص ٩٧ - ١٦٦ ) .

## شعره وموضوعاته

وصلنا من شعر النابغة الجعدى عدد لا بأس به من القصائد والمقطوعات عدا النثف والأبيات المفردة . وقد جاء عدد من قصائده بروايات مختلفة تتفاوت فى الطول ، وقد تتفاوت فى بعض الألفاظ أيضا . وقد جمع شعره وحققه مرتباً إياه على حروف الألفباء عبدالعزيز رباح ، وألحق به مانسب إليه وإلى غيره من شعر . وقد استفاد ، كما يقول ، من عمل ماريا نلينو ( بنت المستشرق الإيطالى المعروف كارلو نلينو ) ، التى كانت قد جمعت شعر الشاعر ونشرته محققا ومشروحا بالإيطالية سنة ١٩٥٣ م (١) . ورغم الجهد الذى بذله المحققان فقد بقيت ثغرات فى بعض القصائد ينتقل فيها الكلام من معنى إلى آخر لا اتصال له به . كما ظلت هناك بعض الأبيات التى لم يستطيعا أن يعيّنّا مكانها فى القصيدة التى رأيا أنها منها ، فكانا يشبتانها فى نهايتها .

ورغم هذا كلّه فإن الإنسان يستطيع أن يخرج بصورة لا بأس بها لفن النابغة الشعرى ويتذوق شعره ويستمتع به . وفى شعر النابغة هجاءً ومفاخرة ، وهما أغلب الشعر عنده . كما أن عنده غزلاً ، لكنه لا يأتى أبداً مستقلاً



ولاطويلاً ، بل هي أبيات مرافقة للغرض الأصلي في القصيدة التي وردت فيها . ومثل الغزل في ذلك وصفه للخمر ، وكذلك نظراته الحكيمية . وثمة أيضا أبيات في مدح الرسول عليه السلام والاعتزاز بالإسلام . كما أن هناك أبياتا أخرى تأتي في تضاعيف بعض قصائده تصور حزنه الأليم على أخيه وحوح وتمجّد خلاله ومروءته وشهامته . ومثل ذلك الأبيات التي يصوّب فيها ناظره إلى الماضي متذكرا شبابه ومسترجعا أوقات الهناء التي عاشها هناك ومتحسرا على مضي ذلك كله إلى عالم الفناء ، وكذلك تلك الأبيات التي يتحدث فيها عن الراحلين من قومه . وفي عدد من قصائده تقابلنا أبيات غير قليلة في وصف الفرس ، وهو ما اشتهر به النابغة عند القدماء (٢) . وهذا كله غير القصيدة التي يبديها بتحميد الله وتوحيده مؤكدا أنّ من لم يقل ذلك فقد ظلم نفسه .

والحقُّ أن وصف النابغة للخيل هو أقل شعره عندي جاذبية . صحيح أنه ومثله من شعر الشعراء الآخرين كان يعجب القدماء ، لكنهم إنما كانوا ينجذبون إليه لما فيه من الغريب . أما الناحية الفنية وماتحدثه من نشوة في النفس والعقل فإني لا أجدها في ذلك اللون من الشعر الذي يبدو فيه الشاعر عادة

وكأنه قد تخلّت عنه تلك الأحلام الدافئة التي تجعل من الشعر شعرا ، فإنه يذهب فى تقصى أجزاء ناقته ووصفها وصفاً عقليا لا أثر فيه للشعور . وتشبيهاته حينذاك تأتى ميتة ، إذ إن وجه الشبه فيها غالبا سطحى لا تحليق للخيال فيه ، فكأنه مجرد وسيلة تعليمية يراد بها التفهيم والتقريب .

وفضلاً عن ذلك ، فينبغى ألا ننسى أن الناقة والحصان اللذين شغف الجاهليون والإسلاميون بوصفهما والإطالة فى ذلك إطالة مسرفة فى غير قليل من الأحيان لم يعد لهما الآن نفس الدور الذى كانا يقومان به فى حياة العربى القديم ولا ترتبط حياتنا بهما كما كانت حياة ذلك العربى القديم ترتبط بهما . بل إن الأغلبية الساحقة منا لاتستطيع أن تعرف أسماء أجزاء جسميهما أو الأدوات التى توضع عليهما مما هو محلّ الوصف والتطوير فى شعرنا القديم ، فلقد أصبحنا نستعمل اليوم السيارة والقطار والطائرة لا الجمل ولا الحصان . بل إن أى شاعر لو وقف اليوم وقفة نظيره القديم فوصف لنا أجزاء أية وسيلة من وسائل مواصلاتنا هذه بالطريقة التى كان القدماء يصفون بها الحصان أو الناقة فلا شكّ أنه سيكون مملّاً غاية الإملال . ولا أظنه سيهتم بكلامه أحد إلا المهندسون والميكانيكيون وأشباه

ذلك ، إذ الموضوع بهذه الطريقة يخلو تماما من الشاعرية أو يكاد ( ٣ ) .

ثم إن هذا الغرض الشعري بالذات هو من الأغراض التي يكثر فيها الغريب الحوشى من الألفاظ ، إن لم يكن يأتى على رأسها ، ممّا يضاعف برّمانا به .

وعلى أية حال ، فهذا شاهد على وصف النابغة للحصان . يقول مفاخرًا بحصانه الذى لاقى به كتيبة من كتائب الأعداء :

بطسىءٍ ولاجْدَعُ جانَبِ  
من أجرد كالصّدع الأشعبِ  
ويأوى إلى حُضْرٍ مُلْهِبِ  
يوائل من بَرَدٍ مُهْذِبِ  
هار يُضْرَبُ من ضربا ولم يُضْرَبِ  
لَغِيْبٍ وَأَصْبَحَ لم يَلْغَبِ  
من يستنّ كالتيس فى الحلبِ  
ر شمّ السنايبك لم تُقْلَبِ  
نِيامُ الأباجل لم تُضْرَبِ  
رقابٌ وعولٌ لدى مشربِ  
حُضْبٍ وإن كان لم يُحْضَبِ  
كُمِيبٍ طلاءٍ من الطحلبِ  
كأوظفة الفالَجِ المُصْعَبِ  
إلى جوجز رَهْلِ المنكبِ  
كتنحية القَتَمِ المُجْلَبِ

تلاقيتهن بلا مُقَرِّبِ  
بعارى النواشق صلت الجيبِ  
يقطعهنّ بتقريبه  
وإرخاء، سيدٍ إلى هضبة  
إذا سيقت الخيل وسط النـ  
غدا مرحاً طرباً قلبه  
فليق النساج حيطُ الموقفِ  
مدلّ على سلطات النسو  
صحيح الفصوص أمين الشظا  
كأن تماثيل أرساغه  
كان حوافره مدببرا  
حجارة غيّل برضاضة  
وأوظفة أَيْدٍ جَدَلِها  
ولسوح ذراعين فى بركة  
أَمِرٌّ ونَحَى من صلِّبه

على أن حاركه مشرفاً  
وظهر القطاة ولم يحدب  
كأن مقطّ شرايفه  
إلى طرف القنب فالتقب  
لطمّن بترس شديد الصفا  
ق من خشب الجوز لم يُثقب  
ويسهل في مثل جوف الطوى  
صهلاً بيّن للمعرب  
ومن دون ذلك هوى له  
هوى القطامى للارنب

ولعلّ أشجى شعر النابغة وأعلقه بالنفس هو الشعر الذى  
يسترجع فيه أيام شبابه حين كان يخلب الحسان بفتوته ونضارة  
عوده وسواد شعره الفينان ، مقابلاً بينها وبين شيخوخته التى  
تساقطت أوراق غصونها وبقيت جرداء ، وكذلك حين يرثى أخاه  
فيذهب يعدّد مآثره فى ولهٍ وحسرة ، أو حين تسأله سائلة عن  
السبب قى قلة عديد قومه فيجيبها بأن الدهر ، الذى لايبقى  
على شىء ولايذر ، قد أكلهم ضمن ما أكل .

انظر إلى انكساره وتضعضه أمام ملاحظة سُلَيْمَى عن  
ابيضاض شعره واضطراره ، لكى يوضح لها السبب فى ذلك ،  
إلى أن يذكر فعل المنون فى إخوته وأقاربه الذين خلفوه وراءهم  
وحيداً كقرن الثور الأعضب ، بما يهيجه كل ذلك من أحزان  
قديمة :

وقالت سليمانى : أرى رأسه  
كناصية الفرس الأشهب  
وذلك من وقعات المنون  
ففينى إليك ولاتعجبى  
أتين على إخوتى سبعةً  
وعُدّن على ربيعى الأقر

وسادة رهطى حتى بقيت فسردا كصيصة الأعصبي  
وتعجبني انتقالته المفاجئة من سؤال سليمى إلى جوابه  
عليها ، إذ لم يحاول أن يمهد لذلك الجواب بما يفيد أن كلامها  
قد انتهى وبدأ كلامه هو . ولعله أراد أن يوحى عن طريق النقلة  
القافزة بضيقة من هذه الملاحظة ، فهو لم يصبر حتى تتم كلامها  
أو على الأقل لم يُعَنَّ بالفصل بين كلامه وكلامها ، شأن الذى  
لا يطيق أن يسمع ما يقال فهو يبادر إلى الردّ عليه من فوره .  
وهذا الضيق يتأكد من قوله بُعَيْدَ ذلك : « ففينى إليك  
ولاتعجبنى » ، إذ يأمرها أن تثوب إلى عقلها فلا تنطق بمثل  
هذه الملاحظات المؤلمة المثيرة لتقديم الأشجان من ركودها .  
ثم يعجبني كذلك تصويره لوقعات المنون بصورة الإنسان  
الذى يأخذ شيئا ويذهب ، ثم يعود ليأخذ ماتبقّى ، وذلك فى  
قوله :

أتين على إختسى سبعةً وعُذِنَ على رَيْعَى الأقرب  
ولاشك أن تفصيله بتحديد عدد إخوته الذين أتت عليهم وقعات  
المنون بسبعة وإضافته إلى ذلك ريعه الأقرب هو مما يجسّم مدى  
فداحة البلية . إن هذه التفصيلات لها دورها فى جودة الشعر  
وقوته .

وتنتهى الأبيات بهذه الصورة المؤثرة : صورته وقد غودر

وحيداً فى الحياة وأصبح حاله كحال قرن الثور  
الأعضب . وتأثير هذه الصورة كامن أقوى ما يكون فى كلمة  
« الأعضب » ، التى توحى بأن وضع القرن الباقى هو وضع  
شاذ ، إذ ينقصه عديله ، بخلاف مالو قلنا مثلاً : « كقرن  
وحيد القرن » . إن وجه الشبه هنا ، كما هو هناك ، التفرّد .  
لكن شتان بين تفرّد وتفرّد : هذا تفرّد طبيعى لايشير وحشةً  
ولايوحى بفقدان . أما تفرّد صيصية الأعضب فهو تفرّد النقصان  
والتشويه والضعف والتضعع .

واقراً كذلك هذه الأبيات ، والضمير فى الفعل « تذكر »

يعود إلى قلبه المذكور قبل ذلك :

تذكّر شيئاً قد مضى لسبيله	ومن حاجة المحزون أن يتذكّرا
ندماى عند المنبر بين محرّق	أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا
كهولاً وشباناً كأن وجوههم	دنائير ممّا شيف فى أرض قيصرا
إذا ملك من آل جفنة خاله	وأعمامه آل امرى، القيس أزهرا
يردة علينا كأسه وشواه	مناصفةً والشّرعيّ المحبّرا
وراحا عراقياً ورتطأ يمانياً	ومُعَبَّطاً من مك دارين أذفرا
أولئك أخذائى مضوا لسبيلهم	وأصبحت أرجو بعدهم أن أُعَمّرا
وماعُمرى إلا كدعوة فارط	دعا راعيا ثم استمر نأذبرا

وهى كذلك تنضح بالأسى واللوعة اللذين يحاول الشاعر أن

يخففهما بالالتفات إلى الماضى ، عكس حركة الزمن فى طريقه

بالبشر نحو الفناء ، وكأنه إذ يفعل ذلك إنما يفرّ من الموت .  
وهيهات ! ألا ما أشجى قوله : « ومن حاجة المحزون أن  
يتذكّرنا » . ذلك أنه إذا ثقلت علينا وطأة الحاضر فإننا  
نعالجها باستحضار الذكريات البهيجة كنوع من المعادلة ، مثل  
من يسفّ بعض السكر ليطرد المرارة التي فى فمه .

وما أشجى كذلك الكناية فى قوله : « أرى اليوم منهم  
ظاهر الأرض مقفراً » ، ومعناها بطبيعة الحال أنهم مدفونون  
تحت الأرض فى باطن الثرى . إلّا أنها ، إلى جانب هذا ،  
تومىء بأنه أخذ يتلفت حوله يمينا وشمالاً ويقطع الأرض ،  
الأرض كلها ، جيئة وذهاباً لعله أن يراهم فلا يجد لهم من أثر .  
وهنا يلتفت إلى الماضى هروباً من كابوس الحاضر المزعج ،  
وعندئذ تتبدل الحال غير الحال ، فيسود جوّ كله نشوة وجبور :  
إن أولئك الأصحاب كالدينانير ، بماتوجيه كلمة « الدينار » من  
النفاسة واللمعان . وهو ليس أى دينار . إنه دينار قيصرى ،  
ولكلمة « القيصر » ظلالها المعروفة من السطوة وسعة السلطان .  
ثم هذا الملك الذى « يرده عليهم كأسه وشواءه مناصفة » . أى  
عزّ هذا ! إنه لا يقدم لهم مجرد الطعام والشراب ، بل يمدّ إليهم  
الشراب من كأسه هو ، والشواء من اللحم الذى يأكله هو ،

وفوق ذلك يقدمهما إليهم مناصفة لايؤثر نفسه عليهم بشيء .  
والشاعر حريص على أن يذكر نسب ذلك الملك : فأخواله آل  
جفنة ، وأعمامه آل امرئ القيس ، تانك الأستران المعروفتان  
بالعزّ والمجد والسلطان . ثم يمضى الشاعر فى تعداد الخلع  
والطُرف وصنوف الإكرام التى أتخفهم بها ذلك الملك الأثيل .

على أن الشاعر يعود من تطوافه بدروب الماضى الحاملة إلى  
أرض الحاضر فتعود معه الأحزان : لقد مضى أصحابه وتركوه .  
وهو ، بما رُكّب فيه من غريزة حب الحياة والأمل ، يرجو مع  
ذلك أن يطول عمره فلا يغادر الدنيا سريعاً كما فعلوا .

وتنتهى الأبيات بذلك البيت الذى لا أذكر أنى سبق أن  
لقيت مثله ، على الأقل فى شعر من تقدموا الجعدى :  
وماعمري إلا كلعوة فارطٍ دعا راعيا ثم استمرّ فأدبرا  
والذى يصورّ فيه قصر الحياة بصورة دعاء من يتقدم الرعاة إلى  
الماء ليهيئ لهم الدلاء ويملاً الحوض بالماء أن « قد انتهيت من  
إعداد كل شيء » ثم يمضى ويتركهم . فكذلك العمر : صيحة  
فى القفر سرعان ما تضيع فى جنبات العدم ولايبقى منها ولا  
حتى الصلى !

أما الأبيات التالية ، وهى فى الحسرة على انصرام الشباب  
وانصراف الغوانى عنه ، فتصورّ عجز الشاعر بين أمرين



مستحيلين . يقول :

تذكرت ذكري من أميمة بعدما      لقيتُ عناءً من أميمة عانيا  
فلاهي ترضى دون أمرد ناشئٍ      ولا أستطيع أن أرد شبابيــــا  
وقد طال عهدي بالشباب وأهله      ولاقيتُ روعاتٍ يُشِبِّنُ النواصي  
بدت فعل ذى ود ، فلما تبعثُها      تولت وأبقت حاجتى فى فؤاديا  
وحلّت سواد القلب ، لا أنا باغيا      سواها ولا عن حبّها متراخيا  
ولو دام منها وصلها ما قليتها      ولكن كفى بالهجر للحب شافيا  
ومارابها من ربيبة غير أنها      رأت لمتى شابت وشاب لداتيا

وماذا يستطيع الشاعر ، أو يستطيع غيره ، فى هذا الموقف ؟  
إن أميمة لاتريده إلا شابا نظرا ، وهو ببساطة يقول إنه  
لايستطيع أن يعيد نفسه شابا . ومن ذا الذى يستطيع ؟ لأحد .  
ثم هو لايستطيع ألا يحبّها ، إذ الحب والكره لا يخضعان لإرادة  
الإنسان بل هما شعوران يُفرضان عليه فرضاً ، وكذلك لايستطيع  
أن يستبدل بحبها حبّ غيرها . ومع ذلك فإنه يقول إن طول  
هجرها إياه وعدم مبالاتها به ويأسه منها ، كل ذلك قد أضعف  
مع الزمن حبّه لها . ثم يعود مرة أخرى فى ختام الأبيات إلى  
الإشارة إلى سبب هجرها له وأنه الشيب . وعودته إلى هذا  
الموضوع مرة أخرى تشي بإيلامه الشديد له وإلحاح ذلك الأمل  
عليه . وبديع منه أن يذكر شيب لداته بجنب شيبه ، وكأنه  
يقول : « إذا كنت قد شبتُ فلم أشبُ وحدى » ، محاولةً منه

للتعزّي ودرء الملامة عن نفسه ، إذ الشيب سنة الحياة لاينجو  
منه إنسان ، وليس أمراً إرادياً يمكننا أن نفعله أو نتركه .  
وفى القصيدة ذاتها التى منها هذه الأبيات نقرأ له رثاءه  
فى أخيه ، ذلك الرثاء الذى يخلطه بشيء من الحكمة الممزوجة  
باللامبالاة بالمال ، إذ كل شيء زائل :

تلم على هلك البعير ظعيني	وكنتُ على لوم العواذل زاريا
ألم تعلمى أنى رُؤيتُ بوحوحٍ	وكان ابن أمى والخليل المصافيا
فتى كملت أخلاقه غير أنه	جواد فما يُبقى من المال باقيا
فتى تمّ فيه مايسرّ صديقهُ	على أن فيه ما يسوءُ الأعاديا
يقول لمن يلحاه فى بذل ماله :	أنفق أيامى وأترك ماليا ؟
يُدر العروق بالسنان ويشترى	من الحمد مايبقى وإن كان غاليا
أشمّ طويل الساعدين سمدع	إذا لم يركُ للمجد أصبح غاديا
أتيحت له والفمّ يحضر الفتى	ومن حاجة الإنسان ماليس لاقيا

ويعجبني فى البيتين الرابع والخامس هذا الاستدراك الذى  
يوحى فى البداية أن الشاعر يريد أن يستثنى من شمائل أخيه  
الرفيعة عيباً يشذ عن تلك الشمائل ولاينسجم معها ، ثم  
يفاجئنا بإضافة خط آخر من خطوط النبل والعتق فى شخصية  
ذلك الأخ . وهو مايسميه البلاغيون « المدح بما يشبه الذمّ » .  
وتأثير هذا الأسلوب هو فيما أشرت إليه من تلك المفاجأة  
وماتوقعه من دهشة منعشة على نفوسنا فى الوقت الذى نكون

فيه مترقبين لذكر مايسوء .

ولاشك أن إرداف الشاعر وصفه لأخيه بـ « ابن أمه » بقوله : « والخليل الصافيا » من الكلام الجميل ، إذ ما أكثر الإخوة الذين تنعدم بينهم المودة ، بل قد تكون بينهم من العداوات ما لا مثيل له بين الأخصام الألداء !

كذلك مما لاريب فيه أن قول أخيه : « أنفق أيامي وأترك ماليا ؟ » هو من اللفتات الذهنية والنفسية المبدعة : فهذا رجل تد استطاع أن يتعمق الحياة وأن يتغلب على ما غُرس في نفوسنا من حرص على المال ورغبة في استبقاء أكبر قدر منه . إنه يرى أن عمره ذاهب ولايمكن استبقاؤه أبدا ، فيتساءل : ولم أحاول استبقاء مالي إذا كنت عاجزا عن استبقاء عمري ؟ أيكون مالي أعزّ على نفسي من حياتي ؟ ألا إن ذلك لايمكن أن يكون . ثم إنه يتصرف في حياته على هدي من هذا التفكير ولايبالي .

وقد أخذ على الشاعر قوله عن أخيه : « إذا لم يَرُحْ للمجد أصبح غاديا » ، إذ يحكى الأصمعي أنه أنشد بعض أبيات هذه اليائية ومنها هذا البيت ، فتساءل الرشيد في استنكار : « ويله ! ولمَ لَمْ يُرَوِّحْهُ في المجد كما أغداه ؟ » ( ٤ ) ، وكان

المسألة مسألة مزايمة يفوز فيها من يدفع أكثر . فإذا كان بعض الناس يقولون مثلاً : « إن فلانا إذا فاته فى آخر اليوم أن يأتى فعلا من أفعال المجد فإنه يبادر فى الغد إلى استدراك مافات » ، فأفضل منهم عندهم من يقولون عن ذلك الشخص : « إنه لايكف عن فعال المجد فى أى يوم لا صباحاً ولا مساءً » . لا ، ليس الأمر كذلك ، وليس الشعر هو أن نبالغ فيما نقول . إن النابغة ، كما لاحظت فى شعره مرارا ، حريص فى كثير من الأحيان على الواقعية . ولاجرم أن الإنسان ، مهما يكن من نبله وأريحيته ، ليس آلة لإنتاج الخير لا تتوقف . وحتى الآلات كثيرا ماتكلّ وتحتاج إلى الصيانة والإصلاح ، فما بالناس بالبشر ؟ ثم إن قول النابغة عن أخيه إنه حريص على أن يستدرك فى أول فرصة فعل ما فاته ليوحى بشدة رغبته فى إتيان المكرمات . إنه بشر ، ولكنه فى نفس الوقت يعمل كل ما فى وسعه للارتقاء ببشريته فى سلم المجد والنبيل إلى أعلى درجة مستطاعة ؟ أما الرجل الذى لا يتوقف أبدا عن صنوع المكارم ، كما هو فى خيال الرشيد ، فأين هو ؟

أما البيت الأخير فلعلّه كان قبله بيت ثم سقط أو أكثر . فالضمير فى « أتاحت له » لا يجد ما يعود عليه . ولعلّ الشاعر

يقصد المنية أو حادثة أدت إليها . وقوله : « ومن حاجة الإنسان ما ليس لاقيا » لا يبدو له اتصال بما سبقه . وقد يكون المراد أن الإنسان يريد أن يبقى حيا أبد الدهر ولكنه لا يمكنه ذلك .

ومما يعجبني كثيرا في شعر النابغة أيضا أبياته التالية في الحديث عن موقفه من الخليل الذي يغدر به . إنه إذا أحسّ فيه بما يريب لجأ في إصلاحه أولاً إلى العتاب . ثم إذا لجّ في التنكر للصدّاقة وقطّعه فما أسرعه هو بدوره إلى مقابلة القطيعة بمثلها ! إذ لا يُعقل أن يداوم على حب من لا يحبه :

وكان الخليل إذا رابني	فعاتبتُهُ ثم لم يُعتبِ
هواي له وهوى قلبه	سواي ، وما ذاك بالأصوبِ
فإنسى جرى، على هجره	إذا ما القرينة لم تُصحبِ (٥)
أدوم على العهد ما دام لي	فإن خان خُنْتُ ولم أكذبِ
وبعض الأخلاء عند البلا	، والرزُّ أروغ من ثعلبِ
وكيف نواصل من أصبحت	خلالته كأبى مرحب ؟
رأك بيثٍ فلم يلتفت	إليك وقال : كذاك أدأبِ
ومأنحنى كمناح العُلو	قِ ما تَرَ من غيرة تُضربِ

إن الرجل هنا واقعي مثالي معا . إنه لا يغدر بصديقه

ولا يبيعه في الشدائد رخيصة ، ولكن ذلك الصديق إذا تغير قلبه ولم ينفع فيه عتاب ولا مراجعة فإنه قادر على قطعه وتبذه . إن الحياة عند النابغة أخذ وعطاء ، وهو لا يقبل من ثمّ أن يعطى

بغير مقابل إلا اللوم والغدر . فإذا وجد أن من يهواه لا يبادله مثل هواه فإن نفسه لاتطوعه على الإبقاء على صداقته بل تنصرف عنه . وتأمّل كيف يسمّى هجره للصديق الخائن « خيانة » . إنها فى الحقيقة ليست كذلك ، ولكنه يجرى على ماسّماه البلاغيون بعد ذلك بـ « المشاكلة » ، وكأنه يريد أن يقول : « لستُ أنا الذى يُغَدِرُ به ويُخَانَ ، بل أنا قادر على أن أخون » ، أو لعلّه يريد أن يبين لنا أنه قد آلم ذلك الصديق الغادر بنفس المقدار من الإيلام الذى سبّبه له ، ومن هنا يسمّى موقفه من خيانتته هو أيضا خيانة . والطريف أن لسانه ، بعد هذا ، يفضحه فيقول عقيب ذلك : « ولم أكذب » . وبالله كيف يخون الإنسان ويعترف بخيانتته ثم ينفى عن نفسه مع ذلك الكذب ؟ لكنه لا يصح ألا ننسى أنه فى تسمية موقفه من خيانة الصديق خيانة إنما جرى على الأسلوب العربى . وكأنه لمّا استعمل هذا الأسلوب عاد فأجفل وأحب أن ينفى عن نفسه ما يمكن أن يسبق إلى وهم الناس من أنه هو أيضا خائن ، فاحترز بقوله : « ولم أكذب » . أو قد يكون المعنى أنه إذا ثبتت له خيانة الصديق فإنه لا يكذب نفسه ولا يمينيها الأمانى الباطلة من وراء صداقة هذا الصديق بل يبادر إلى قطعه فوراً . يجوز هذا

ويجوز ذلك ، فإن البيت يقبل المعنيين جميعا (٦) .

وفى البيت الخامس تقع الموسيقى بين كلمتى « الأخلاء » و « البلاء » موقع النسمة اللطيفة . كما أن عبارة « أبى مرحب » الدالة على المنافق الذى يتظاهر بمودتك وصدافتك وبتسم فى وجهك إذا قابلك ويرحب بك ترحيبا بالغاً ولكنه فى الأزمات رَوَّاع فرار هى من العبارات الطازجة الموفقة ، وتبدو ذات مذاق شعبي . ولعلهم حين سمّوه بـ « أبى مرحب » قد قصدوا أنه لا يخرج من فمه ( كما يخرج من صلب الرجل ذريته ) إلا « مرحب ! مرحب ! مرحب ! » ، فهو « أبو » مرحب على هذا التقدير . وهناك تفسير لأبى مرحب بأنه الذئب (٧) . بيد أنه لا يُضْرَبُ بالذئب المثل فى الروغان والغدر . إنما هو الثعلب . وقد سبق فى البيت المتقدم ذِكْرُ الثعلب بهذا المعنى ، فلا داعى فيما أظن لذكر الذئب .

وعندما يفخر النابغة بقومه ويهجو خصومهم فإنه يغلو غلوّاً غير قليل . وإذا صحت إحدى الروايتين الأوليين لرأيته التى أنشدها على مسمع من النبى عليه السلام عام الوفود كان غلوّ الجعدى فى الإشادة بقومه قد بلغ غاية لم تُبْلَغْ من قبل ( ولا من بعد فيما أحسب ) ، إذ لم يكد يترك أحداً من قبائل

العرب إلا وجلجل صوته بأن قومه قد هزموهم وقتلوهم  
وشرّدوهم :

يقولون معروفاً وآخر منكرا  
كفيلاً دنا منّا أعزّ وأنصرا  
أصببت سباً أو أرادت تخيئرا  
فيغبر حولا فى الحديد مكفرا  
ثويّا وإن كان الثويّة أغضرا  
فأضحوا ببصرى يعصرون الصنوبرا  
وهنأ فكلأ قد طرحناه مطحرا  
فأحجرها أن لم تجد متأخرا  
وحسان وابن الجوف ضريا منكرأ  
بذى النخل إذ صام النهار وهجرا  
عميدئ بنى شيبان عمراً ومنذرا  
أراها مع الصبح الكواكب مظهرأ  
رؤين نجيعا من دم الجوف أحرا  
ينهى غراب يوم ما عوج الذرا  
إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا  
صاحاً ولامستنكرا أن تُعقرا  
وإننا لنرجو فوق ذلك مظهرأ  
جوانب بحر ذى غوارب أخضرا  
لتنظر فى أحلامها وتفكرا  
لأبلغ عذراً عند ربى فأعذرا  
نُقيل بن عمرو والوحيد وجعفرأ

ومهما يقل فينا العدو فإنهم  
فما وجدت من فرقة عريية  
وأكثر منّا ناكحا لفريية  
وأجدر ألا يتركوا عانياً لهم  
وأجدر ألا يتركوا من كرامية  
وقد آنت منّا قضاة كالنأ  
وكندة كانت بالعقيق مقيمة  
كنانة بين الصخر والبحر دارهم  
ونحن ضربنا بالصفى آل دارم  
وعلقمة الجعفي أدرك ركضنا  
ضربنا بطون الخيل حتى تناولت  
أرنا مَعَدًا من شراويل بعدما  
تمرّن فيه المضرحيّة بعدما  
ومن أسدٍ أغرى كهولاً كثيرة  
ونحن أناس لانعود خيلنا  
وما كان معروفا لنا أن نردنا  
بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا  
وكلّ معدّ قد أحلت سيفونا  
لعمري لقد أنذرت أزدًا أناتها  
وأعرضت عنها حقبة وتركتها  
وما قلت حتى نال شتم عشيرتى



وحى أبى بكر ولا حى مثلهم إذا بلغ الأمر الغماس المذمرا

.....

إذا افتخر الأزدي يوماً فقل له : تأخر فلن يجعل لك الله مفخرا

فإن ترد العُليا فلست بأهلها وإن تبسط الكفين بالمجد تُقصراً

إذا أدلج الأزدي أدلج سارقا فأصبح مخطوماً بلوم معزرا

وبالمناسبة ، فقد اخترت الرواية الثانية . ولو كنت اخترت

الأولى لكانت قعقة الفخر أدوى وأعنف تفجراً . وإن الإنسان

ليتساءل : ماذا كان قوم النابغة يظنون أنهم قد جاءوا إلى النبي

ليفعلوا ؟ لقد جاءوا ليعلنوا إسلامهم لا ليهددوا ويقعقعوا .

ولكن هكذا كانت طبيعة العرب ، بل ومازالت كذلك للأسف .

وإن الأغاني والأناشيد التي تبثها الإذاعات العربية الآن في

الافتخار بالبطولات وتهديد الأعداء خير دليل على ذلك ، مع

مانعرفه نحن العرب قبل غيرنا من هواننا وعجزنا وذلتنا وخزينا

وضراعتنا أمام أعدائنا وبلادتنا نحو الإهانات الشنيعة التي

توجه لأوطاننا وأعراضنا وديننا . ولكن النبي الكريم قد قابل

كل ذلك من الشاعر بصدرة الواسع وحلمه الكريم وفهمه العميق

للطبيعة العربية . وحين وصل النابغة إلى أقصى نقطة في الفخر

المدمدم بقومه قائلاً :

بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا وإننا لنبغى فوق ذلك مظهرا



كان كل ما عقب عليه السلام به على ذلك أن سألته : « إلى أين

المظهر يا أبا ليلى ؟ » ، وكأنه عليه السلام يريد أن ينبهه إلى أنه لا غاية لأحد بعد هذه الغاية ، إذ ماذا بعد السماء ؟ ولكن الشاعر اللبق سرعان ما أجاب محولاً وجهة الكلام إلى الآخرة بعد أن كان فى الدنيا ، فقال : « إلى الجنة يارسول الله » . فدعا له الرسول بالخير بعد أن نبهه أن يقول : « إن شاء الله » .

هذا ، وقد مضت أبياته فى مديح ابن الزبير فى الفصل السابق . ويبقى من الحديث عن الأغراض الشعرية عند النابغة الميمية المنسوبة إليه ومطلعها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فأنسه ظلماً  
والتي جمعت من المظانّ المختلفة فبلغت واحداً وعشرين بيتاً .  
وهى غريبة على شعر النابغة الذى سلّم لنا ، إذ كلها فى المعانى الدينية من توحيد لله واعتراف بقدرته وعظمته ، وتأمّل فى مجالى السماوات والأرض ومعجزة الخلق والحياة والنموّ ، وتذكير بمصائر بعض الأمم ممن أهلكهم الله وكانوا أقوى قوة وصوله وغنى أو أرغم أنوفهم وأخضعهم للعرب ، وخوفٍ من الحساب والنار ، وحكاية لقصة نوح ، وإن ضاع معظم الأبيات التى تتضمنها ولم يبق منها إلا بيتان هما آخر بيتين فى القصيدة .

والقصيدة فوق ذلك أقرب إلى النظم منها إلى النثر ، وإن

كان د. شوقي ضيف يصفها بأنها « موعظة بليغة » (٨) .

وقد اختلف حول نسبة هذه القصيدة (٩) ، فنسبها بعضهم إلى أمية بن أبي الصلت ، وبعضهم إلى النابغة الجعدي ، وبعض آخرون إلى نابغة بنى شيبان . وفى الفصل التالى نتناول هذه المسألة .

## الهوامش

- ١- انظر مقدمة « شعر النابغة الجعدى » / ج - د .
- ٢- انظر مثلاً ابن سلام / طبقات فحول الشعراء / ١ / ١٢٨ ، والمرزبانى / معجم الشعراء / تحقيق عبد الستار أحمد فراج / البابى انحلبى / القاهرة / ١٩٦٠ م / ١٩٥ .
- ٣- للدكتور خليل إبراهيم أبو ذياب رأى مختلف فى وصف النابغة للخليل . وقد أطال القول فى ذلك . انظر كتابه « النابغة الجعدى - حياته وشعره » / ٢٢٣ ومابعدها .
- ٤- المرزبانى / الموشح / ٩٣ . وانظر « شعر النابغة الجعدى » / ١٧٥ / هامش ٢٨ .
- ٥- إذا النفس لم ترتح إليه .
- ٦- هناك رواية أخرى للشطرة الثانية من البيت فى « لسان العرب » كالآتى : « إذا كَذَبَتْ خَلَّةُ الْمُخَلَّبِ » . والمخلب : الناقة . وكذبت خلتها : ذهب لبنها . انظر « شعر النابغة الجعدى » / ٢٥ / هامش ٤٢ . ولكنى أخذت بالرواية المثبتة فى القصيدة ، لأنها من رواية البحرى فى « حماسه » . انظر تخريج القصيدة فى ص / ١٢ بالهامش ، والبحترى أسبق من « لسان العرب » بكثير ، علاوة على أن تسمية لبن الناقة بالخللة مما لايسوغ .
- ٧- انظر « شعر النابغة الجعدى » / ٢٦ / هامش ٤٤ .
- ٨- العصر الإسلامى / ١٠٣ .
- ٩- القصيدة موجودة فى « شعر النابغة » / ١٣٢ - ١٣٤ .

تحديد نسبة قصيدة « الحمد لله لا شريك له »

ورد في « طبقات فحول الشعراء » أن النابغة الجعدي لمَّا أذن له عثمان أن يعود إلى بلاده على أن يرجع مرة أخرى إلى المدينة بعد أجلٍّ أجله له « خرج من عنده فدخل على الحسن بن علي فودّعه ، فقال له الحسن : أنشدنا من بعض شعرك فأنشده :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما  
فقال له : يا أبا ليلى ، ما كنا نروى هذه الأبيات إلا لأمية بن  
أبي الصلت . قال : يا ابن رسول الله ، والله إنى لأول الناس  
قالها ، وإن السروق من سرق أمية شعره « (١) .  
وفي « الاستيعاب » لابن عبد البر أن هذه القصيدة بما فيها  
من ضروب دلائل التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار  
وصفة بعض ذلك تنحو نحو شعر أمية بن أبي الصلت . وزاد  
ابن عبد البر أنه « قيل إن هذا الشعر لأمية ، ولكنه صححه  
يونس بن حبيب وحماد الراوية ومحمد بن سلام وعلي بن  
سليمان الأخفش للنابغة الجعدي » (٢) . كما ورد في  
« الأغاني » و « الخزانة » أن النابغة قد قال هذه القصيدة  
في الجاهلية (٣) .

كذلك فإنها موجودة فى ديوان النابغة الشيبانى ، الشاعر  
الأموى .

فما وجه الصواب فى ذلك كله ؟

أولاً أحب أن أؤكد أن هذه القصيدة لا يمكن أن تكون  
جاهلية لأكثر من سبب : فمعانيها كلها تقريبا وكذلك كثير جدا  
من ألفاظها وعباراتها قرآنية ، فكأن الشاعر قد وضع القرآن  
نصب عينيه وأخذ بعض آياته وصاغها شعراً . ولو كانت القصيدة  
جاهلية فمعنى ذلك ببساطة أن القرآن قد اقتبسها وأدخلها فى  
آياته بعد أن نشرها ، وهو ما لا يمكن أن يكون . ولست أقول هذا  
لمجرد أننى مسلم يعزّ علىّ أن أسلم بهذا حتى لا أسىء إلى  
كتابى المقدس ، ولكن لأن هذا لو حدث لشارت ثائرة الكفار  
وارتجت الجزيرة العربية كلها لأنه سيكون دليلاً قاطعاً على أن  
محمدأ كان يستمد قرآنه من كلام البشر . إن كل ما اتهم  
الكفار به الرسول عليه السلام فى هذا الصدد أنه كان يستمع إلى  
بعض الرقيق الأعجمى فى مكة ويضمّن ما يتعلمه منهم فى  
القرآن ، ولم يذكروا النابغة ولا أمية قط . ثم أكانت نفس النابغة  
تطاوعه على الدخول فى الإسلام وهو يرى قصيدته قد أخذت  
وإدعى أنها وحى إلهي . بل إننى قد بينت من قبل أن من

المستبعد للغاية أن النابغة كان في الجاهلية متحنفا على دين إبراهيم يستغفر الله ويصوم ويتجنب الخمر والأوثان ، ومن ثم فهذا الشعر غريب عليه آنذاك . أما لو كانت الأبيات لأمية فلا ريب أنها كانت ستصبح فرصة العمر لهذا الرجل الحاقد على الرسول لنزول الوحي عليه بدلاً منه كما كان يطمع ويتوقع ، ولكان قد شنّ حرباً على الرسول ودينه لا ترحم (٤) .

هذا سبب ، والثانى أن فى القصيدة عدداً غير قليل من أسماء الله الحسنى وصفاته مما لم يكن للجاهليين عهد ببعضه . وهى « المولج الليل فى النهار ... ، والخافض ، الرافع ، الخالق ، البارئ ، المصورّ ... » .

وثمة سبب آخر قاطع فى أنها لايمكن أن تكون جاهلية البتة ، بل ولايمكن أن يكون قد قالها أمية ، وهو أن فيها ذكراً لفتح بلاد فارس وخضوعهم لسلطان العرب . وهذا الحدث لم يقع بطبيعة الحال إلا فى عهد عمر بن الخطاب ، وقد مات أمية قبل ذلك بزمن طويل (٥) . تقول القصيدة :

يا أيها الناس ، هل ترون إلى فارس بادت وخلصها رَغْمًا ؟  
أمسوا عبدا يرعون شاءكم كأنما كان ملكهم حُلْمًا  
إذن فالقصيدة قد قيلت بعد الإسلام لاجدال فى ذلك ،

وبالتالى لايمكن أن تكون لأمية ، فهل يمكن أن يكون صاحبها

هو النابغة الشيباني ؟

إننى أستبعد هذا جدا . ذلك أن هذه الإشارة إلى زوال ملك فارس وعلى هذا النحو الذى فى القصيدة ينمّ عن أن العرب كانوا لا يزالون به حديثى عهد ، فالشاعر يتحدث عنه حديث المبهور . وهذا أمر طبيعى ، فقد اشترك النابغة فى فتح فارس ، ورأى بنفسه كيف انهارت الإمبراطورية الفارسية تحت الضربات الإسلامية وخضع الفرس للعرب بعد أن كانوا هم السادة أصحاب السلطان . أما فى عصر نابغة بنى شيبان فكان قد مضى على ذلك زمن طويل ولم يعد العرب يرون فيه شيئا غير عادى ، فقد اتسعت إمبرطوريتهم شرقا وغربا واكتسحت البلاد والأمم ، وأصبح فتح فارس من ذكريات الماضى . إن من الطبيعى أن يشير نابغة بنى شيبان ، أثناء مديحه للوليد بن عبد الملك ، إلى فتح طرندة فى آسيا الصغرى مثلا فى عهد ذلك الخليفة الأموى ويتحدث عن الروم (٦) ، لكن ليس من الطبيعى أن يترك أحداث عصره ويذهب يتحدث عن القضاء على دولة الأكاسرة .

ثم إن نظم آيات القرآن على هذا النحو يدل هو أيضا على أن نزول القرآن كان لا يزال غصّا . إن الشعراء العرب لم يكفوا على طول الأعصار عن الاقتباس من القرآن الكريم ، لكن ليس



بهذا الالتصاق بألفاظه وعباراته ومعانيه .

وإلى جانب هذا ، فإن أقدم مؤرخى الأدب العربى كابن قتيبة وابن سلام والأغانى قد ذكروا هذه القصيدة للنابغة الجعدى لا للنابغة الشيبانى . وقد أخذ الدارسون المحدثون بهذه النسبة ، ولم أجد أحداً من الذين رحعت إليهم وأنا بصدد إعداد هذه الدراسة قد ذكرها لنابغة بنى شيبان ، اللهم إلا د . سامى مكى العانى ، الذى جعلها له فى كتابه « الإسلام والشعر » ( مع القول فى الهامش إنها منسوبة إلى الجعدى فى « الشعر والشعراء » ) ، ثم عاد فى نفس الكتاب فنسبها دون تردد إلى نابغة بنى جعدة دون أن يشير إلى النابغة الشيبانى أدنى إشارة (٧) .

## الهوامش

- ١- طبقات فحول الشعراء / ١ / ١٢٧- ١٢٨ . وقد ورد هذا الخبر بنصه تقريباً في « الأغاني » ٤ / ١٣٠ ، إلا أنه فيها قد دخل على الحسن والحسين لا على الحسن وحده .
- ٢- الاستيعاب / ٣ / ٥٥٣ . وانظر أيضاً البغدادي / خزنة الأدب / ٥١٤ .
- ٣- نفس الموضعين في الهامشين السابقين .
- ٤- وأيضاً لا يمكن أن يكون قد قالها بعد الإسلام ، وإلا لكان معنى ذلك أن هذا الحاقق الذي كان يتأجج بغضا للرسول ودينه قد طوعته نفسه للتأثر بالقرآن الذي نزل على الرسول والاعتباس منه بهذه السعة وهذا الالتصاق في قصيدة من قصائده ، بكل مايدل عليه هذا للقاصي والداني من اعترافه بعظمة ذلك القرآن إلى حد أن يتخذه هو ، أمية بن أبي الصلت ، مثلاً أعلى له يأخذ منه ويستلهمه .
- ٥- مات في السنة الثانية أو التاسعة للهجرة . انظر البغدادي / خزنة الأدب / ١ / ١٢١ - ١٢٢ .
- ٦- ديوان نابغة بنى شيبان / دار الكتب المصرية / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م / ٥٢ - ٥٣ .
- ٧- انظر « الإسلام والشعر » / عالم المعرفة (٦٦) / الكويت / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م / ٨٧ ، ٢٥٢ .

## الرأى فى شعر النابغة

وصف يونس النابغة الجعدى بأنه « أفصح العرب » وأنه  
« أوصف الناس لفرس » (١) .

وعن أبى عمرو بن العلاء : « سئل الفرزدق عن الجعدى ،  
فقال : صاحب خُلُقَان : يكون عنده مُطْرَف بألف ، وخمار  
بواف (٢) . قال الأصمعى : وصدق الفرزدق . بينا النابغة فى  
كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب . ثم أنشدنا  
له :

سما لك همٌ ولم تطرِبِ      وبِتَّ بيتٌ ولم تنصِبِ  
وقالت سليمى : أرى رأسه      كناصية الفرس الأشهب  
وذلك من وقعات المنون      فقينى إليك ولا تعجبنى  
أتين على إخوتى سبعة      وعُثن على رتبعى الأقرب  
وبعد آيات . ثم يقول بعدها :

فأدخلك الله برده الجنان      ن جـذلان فى مدخل طيب  
قال الأصمعى : وطريق الشعر إذا أدخلته فى باب الخير

لان . ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والإسلام ،  
فلما دخل شعره فى باب الخير من مراثى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهم وغيرهم لان شعره .  
وطريق الشعر هى طريق الفحول ، مثل امرئ القيس وزهير

والنابغة ، من صفات الديار والرَّحْل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والافتخار . فإذا أدخلته في باب الخير لان « (٣) .

وقال الأصمعي أيضا في نفس هذا المعنى الأخير : « الشعر نَكْدٌ بابه الشرّ ، فإذا دخل في الخير ضعف . هذا حسان بن ثابت فعل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره . وقال مرة أخرى : شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر ، ففُطِعَ منته في الإسلام لحال النبي صلى الله عليه وسلم » (٤) .  
وكان الأصمعيُّ يحكم على النابغة بقلّة التكلف ويمدحه لهذا السبب (٥) .

وعن الأصمعي أيضا أنه قد أُفْحِمَ ثلاثين سنة بعد قوله الشعر ، ثم نبغ فقال الشعر مرة أخرى ، وأن شعره الأول قبل الإفحام جيد ، أما الآخر فكأنه مسروق وليس بجيد (٦) .

ووضعه أبو زيد القرشي على رأس أصحاب المشويات (٧) .  
كما أورد ابن قتيبة له شيئين سبق إليهما وأخذهما عنه

غيره ، إذ قال في وصف الفرس :

كَأَنَّ مَقْطَطَ شَرَايِفِهِ إِلَى طَرْفِ النَّقَبِ فَاَلْتَقِبِ  
لُطْمُنَ بُتْرَسٍ شَدِيدِ الصَّقَا لِمَنْ خَشِبَ الْجَوْزَ لَمْ يُثَقِّبِ

فأخذه ابن مقبل فقال :

كَأَن مَّا بَيْنَ جَنبِيهِ وَمَنْقَبِيهِ  
مِن جَوِّهِ وَمَنَاطِ الْقُنْصِ مَلْطُومُ  
بُؤْسِ أَعْجَمٍ لَمْ تَنْخَرْ مَنَاقِبُهُ  
مِمَّا تَخَيَّرَ فِي آطَامِهَا الرُّومُ  
وقال النابغة :

أرأيت إن بكرت بليل هامتى  
هل تخمشن إبلى على وجوهها  
وخرجت منها باليا أوصالى  
أو تضربن نحوها بمآلى  
فأخذه شاعر وقال :

أرأيت أن بكرت بليل هامتى  
وأضاف أبو الفرج عن الأخفش أن النابغة هو أول من سبق  
إلى الكناية عن اسم من يعنى بغيره ، فإنه قال :

أكنى بغير اسمها وقد علم الـ له خفيات كل مكتتم  
وأن الشعراء اتبعوه فيه ، ومنهم أبو نواس حيث يقول :

أسال القادمين من حكرمان  
فيقولون لى : جنان كما سرك فى حالها ، فسأل عن جنان  
مالهم لا يبارك الله فيهم ؟ كيف لم يغن عنهم كتمانى ؟ (٩)

وجعله ابن سلام على رأس الطبقة الثالثة من فحول  
الجاهلية ، ووصفه بأنه كان « شاعرا مقلقا » ، ثم عاد فقال إنه  
كان « مختلف الشر مغلبا » ، ثم ساق رأى الفرزدق السابق ذكره  
ولكن بصيغة مختلفة بعض الشيء قائلاً : « كان الأصمعى يمدحه  
بهذا وينسبه إلى قلة التكلف » ، كما ذكر أن ليلى الأخيلية وأوس  
بن مغراء القرئعى وعقال بن خالد العُقَيْلى قد غلبوا عليه : الأولان

بالشعر ، رغم أن أوساً أقل شاعرية منه ، والثالث بكلام عادي ،  
إذ كان مفحماً لا يقول الشعر (١٠) .

وجاء في « الأغاني » أيضاً عن عمر بن شبة أنه كان  
« شاعراً متقدماً ، وكان مغلباً ما هاجى قطّ إلا غلب :  
هاجى أوس بن مغراء وليلي الأخيلية وكعب بن جُعيل فغلبوه  
جميعاً » (١١)

وقد أورد المزياني بعض المآخذ التي عيبت على شعر النابغة .  
فإلى جانب الملاحظة السابقة التي أبداها الرشيد حول قوله عن أخيه  
إنه « إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا » وأنه كان المفروض أن يقول  
بدلاً من ذلك : « إذا راح للمعروف أصبح غاديا » ، مما وافقه  
عليه الأصمعي قائلاً : « أنت والله يا أمير المؤمنين في هذا أعلم  
منه بالشعر » ، هناك ما أنكره آخرون على الشاعر من قوله :  
وشمولٍ فهوةٍ باكرتُها  
في التباشير من الصُّبحِ الأوَّلِ  
إذ إنه أراد « مع التباشير الأول من الصبح ، فقدم  
وأخر » ، وكذلك قوله يصف انصراف امرأة عنه :  
ومارابها من ريبة غير أنها  
رأت لِمَتى شابت وشاب لدائيا  
فقد قالوا مستنكرين : « فأى ريبة أعظم من أن قد رآته  
شاب ؟ » (١٢) .

وفى « المصون في الأدب » ، في أثناء الكلام عن أمدح

بيت قالته العرب ، سيق رأى يقول إنه بيت النابغة فى رثاء أخيه :  
 فتى تمّ فيه مايسرّ صديقه على أن فيه مايسوء الأعدايا (١٣)  
 ولكن دون أن تساق حيثيات هذا الحكم .

وقد صنّفه جرجى زيدان ضمن طائفة الشعراء الذين اشتهروا  
 بوصف الخيل دون سواها كما يقول ، وهم النابغة نفسه وأبو دواد  
 الإيادى وطفيل الغنوى (١٤) .

وقال أحمد السكندرى ومصطفى عنانى إن النابغة لم يكن يُشَقَّ له  
 غبار فى وصف الخيل وإنه كان مطبوعاً فى الجاهلية والإسلام ،  
 وقارنا بينه وبين زهير ومدرسته من المحكّكين فقالا إنه لم يكن  
 ينتحى طريقتهم فى المبالغة « فى تهذيب الألفاظ وتنقيح المعانى ،  
 بل كان يلقي القول على عواهنه وكما تهديه إليه بديهته ، فتارة  
 يأتى جيداً متيناً ، وتارة يجىء ضعيفاً رديناً ، وأحياناً يسلك بين  
 ذلك سبيلاً » . ثم قالوا « ومع ذلك كله كان مغلّباً ، ماهاجى  
 أحداً إلا غلبه » (١٥) .

وقد أشار أيضاً إلى تقدمه فى وصف الخيل السيد أحمد  
 الهاشمى ، الذى ذكر قول الأصمعى إن هناك « ثلاثة يصفون الخيل  
 لايلحقهم أحد : طفيل الغنوى وأبو دواد الإيادى والنابغة  
 الجعدى » ، كما وصفه بأنه كان « شاعراً مطبوعاً فى الجاهلية  
 والإسلام » (١٦) .

ويصف د. شوقي ضيف أكثر من قصيدة له بأنها « رائعة » (١٧) ، كما مرّ بنا وصفه لمييمته المختلف حول نسبتها بأنها « موعظة بليغة » (١٨) . كذلك ذكر الأستاذ الدكتور ما قيل عن غلبة عدد من الشعراء للنابغة رغم أنهم لم يكونوا على مستواه في موهبة الشعر ، وإن كان قد جوّز أن يكون سبب ذلك « تعمق الإسلام في نفسه ... ، إذ كان يتخرج من المضى في الهجاء المقذع » (١٩) . وعلى طول الفصل الذي خصه له نراه يعمل على إبراز أثر الإسلام في شعره .

والنابغة ، عند د. عمر فروخ ، هو « شاعر مخضرم مطبوع فصيح يجرى في شعره على السليقة ولا يتكلف صنعة ، إلا أن شعره شديد التفاوت : منه الجيد البارع ، ومنه الرديء الساقط ... وكان من أوصاف الناس للفرس ... وفي شعره شيء من الإقذاع ... وتكثر في شعره الألفاظ الإسلامية » (٢٠) .

وفي « أدب صدر الإسلام » للدكتور محمد خضر نقرأ أنه كان « يقول الشعر عفو الخاطر ولا يعنى بتهذيبه وتزيينه ، فكان منه الجيد والرديء ، ولذا كان من الشعراء المغلّبين ... وكان سمحاً يعترف بالهزيمة ولا يضر في نفسه شراً ولا حقداً » (٢١) .

ويشير حنا الفاخوري إلى شهرة النابغة بوصف الخيل ، ويقول



إنه كان « شاعرا مطبوعا يرسل كلامه إرسالاً من غير تأن ولاتنقيح ، ولهذ حوى شعره الجيد والردى . ويمتاز كلامه عموماً بالموسيقى العذبة والسلاسة والانسجام » (٢٢) .

ويوجز د. خليل إبراهيم أبو ذياب ، فى نهاية دراسته المفصلة لحياة النابغة وشعره ، رأيه فى هذا الشعر قائلاً إننا « إذا رجعنا إلى ما بين أيدينا من شعر الجعدى فإننا نستطيع أن نتلمس آثار الجمال ونتحسس مظاهر الإبداع والجزالة والرصانة والفحولة تشيع فى قصائده بكل وضوح ، حتى إنها تشكل السمة الغالبة عليها » (٢٣) .

هذه آراء بعض النقاد والعلماء ، فى شعر النابغة فى القديم والحديث ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

أن النابغة أشعر ، أو على الأقل من أشعر ، من وصفوا الخيل .

أن شعره متفاوت . وقد عزا الأصمعى ذلك إلى أن شعره الذى قد يكون سلساً أو صلباً حسب الموضوع المطروق ما إن يدخل فى باب الخير حتى يضعف ويلين . ثم خرج الأصمعى من ذلك إلى القول بأن هذا الحكم ينطبق على شعر المخضرمين فى الإسلام .

أنه كان شاعراً متقدماً ومفلحاً ، ومع ذلك كان مغلباً . وقد

رأينا كيف جوّز د. شوقي ضيف أن يكون مرد ذلك إلى أن الإسلام كان يمنعه من المضى فى الهجاء المقذع .

أنه كان شاعرا مطبوعاً فى الجاهلية والإسلام .

أنه لم يكن يهتم بتهديب الألفاظ وتنقيح المعانى ، فهو ليس من شعراء الصنعة . ويُرجع بعضهم إلى ذلك ما قيل عن غلبه أمام من دخل معهم فى مهاجيات .

أن شعره يمتاز بالموسيقى العذبة والسلاسة والانسجام .

أنه سبق إلى بعض المعانى والصور التى قلده فيها من جاءوا بعده .

أنه قد أخذت عليه فى شعره أشياء .

وسوف تتناول الآن هذه الآراء بالدرس والتحليل . وبالنسبة لوصفه للخيال فقد سبق أن بيّنت رأبى فيه مما يغينى عن إعادة القول فيه هنا .

وأما أن شعره وشعر غيره قد لان فى الإسلام فهذه مسألة لابد من التلبث فى معالجتها لأهميتها الشديدة .

لقد قيل فى موقف الإسلام من الشعر كلام كثير فى القديم والحديث ، وانتهى رأى العلماء ومؤرخى الأدب والنقاد بوجه عام إلى أن الإسلام لايقف من الشعر موقف عدا ، بل ينظر إلى

مضمونه وغايته ، وعلى حسبهما يكون الحكم له أو عليه . إنه يحرم مثلا أشعار الفجور والفحش والحض على حرب الله ورسوله ، ولكنه لا يحرم التعبير عن المشاعر الإنسانية السوية ... وهكذا . وهذه مسألة قد فُرغَ منها تقريبا (٢٤) . بيد أن الأمر فيما يتصل بمقولة ضعف الشعر فى الإسلام مختلف ، إذ لا يزال عدد من الدارسين يردّونها ، وإن أضافوا أسباباً أخرى إلى ما قاله الأصمعى من أن الشعر إذا دخل فى الخير لان ، لأنه فن نكد لايزدهر إلا على الشرّ . ومن هؤلاء ، د. نجيب البهيتى ، الذى يدعى « أن ضعف الشعر فى الإسلام نظرية صحيحة » ، ويذهب فيه يقول التدليل على ذلك (٢٥) ، ود. محمد عبدالعزيز الكفراوى ، الذى يقول « لعل روح الدين الجديد الذى ينهى عن التعظم بالآباء ويحرم الخمر وينفّر من التعرض لأحساب الناس بالهجاء وأعراضهم بالتشبيب ... كان سببا فى ضعف الشعر العربى بضعف الدوافع إليه » ، وإن حرص المسلمين الأوائل على العمل قد صرفهم عن قول الشعر ، وإن القرآن قد شغلهم بأسلوبه ومضمونه عن التفكير فى سواه ، ومنعهم من محاولة محاكاته (٢٦) .

ويقرر د. عبدالقادر القط فى هذا الصدد أننا « لو قارنا بين

شعر هذه المرحلة ( أى مرحلة صدر الإسلام ) والشعر الجاهلى

لأدرکنا دون عناء أن هناك بونا شاسعاً بين الشعريين من حيث الأصالة والمستوى ، وأن الشعر فى صدر الإسلام قد فقد فى معظمه ، وبخاصة الشعر السياسى ، ما فى الشعر الجاهلى من خيال حىّ واقتدار لغوى والتصاق بالطبيعة والمزاوجة بينها وبين مشاعر الإنسان ، وأنه فى كثير من وجوهه قد أصبح أقرب إلى النظم منه إلى الإبداع » ، وإن سارع إلى الاستدراك بأن هذه الظاهرة كانت أوضح ماتكون فى شعر المناقضات بين الإسلام والكفر ، أما « الذين كانوا أقل انغماساً فى تلك الحرب الكلامية فإنهم ... مضوا يقولون الشعر كما كانوا يقولونه فى الجاهلية على شىء من الاختلاف اليسير كان لا بد أن يكون وهم يعيشون فى ذلك المجتمع الجديد » . ثم يستدرك الأستاذ الدكتور مرة ثانية بأن ذلك الضعف كان قد بدأ فى الحقيقة قبيل الإسلام لابعده ، إذ كان عصر الفحول قد انقضى تقريباً ولم يبق إلا شعراء مقلون لا يبلغون شأوهم (٢٧) .

ومن الذين قالوا أيضاً بضعف شعر المخضرمين د. عمر فروخ ، الذى يرى « أن إنعام النظر فى أسلوب شعر المخضرمين يدلنا على أن الجانب الأقل منه كان قد بقى على نسجه المتين كشعر الحطينة وبعض شعر حسان . أما الجانب الأكبر منه فقد

أصبح أضعف نسجا وأقل براعة وأكثر تخلخلا لضيق المجال الوجدانى الذى كان للجاهليين من قبل . لَمَّا نهى الإسلام عن المفاخرات والمنافرات ووزَعَ عن الغزل والهجاء وثبَّط عن المبالغة والمغالاة فقد الشعراء الميادين الرحيبة التى كانوا يُجرون فيها ألسنتهم فى الجاهلية ، ثم ذهبت القيود الجديدة بالطرق المعبّدة التى كان الشعراء يسلكونها فى الجاهلية ، وخصوصاً حينما جعل المخضرمون يتكلفون شق طرق جديدة ينهجون عليها فى نظم الأغراض المستحدثة « (٢٨) .

ويعزو د. عباس الجرارى ظاهرة ضعف الشعر الإسلامى المدعاة إلى « أن الأديب لا يستطيع أن ينتج فى حال التوتر والانفعال ، وإن فعل يكون إنتاجه غير ذى قيمة ، وإن تأثر فتأثيره وقتى ليس غير . والسبب أنه لا يستطيع الإنتاج الجيد إلا بعد أن تهدأ ثورته وتختمر تجربته ويكتمل شعوره ويتعقل وجدانه » . وهو يرى أن شعراء الإسلام « لم يتح لهم ، وخاصة فى السنوات الأولى ، وتعتبر سنوات انتقالية ، أن يتأثروا تأثراً نفسياً وعقلياً يكون من العمق بحيث يغير وضعية الشعر شكلاً ومضموناً وبحيث يجعل الشعراء يعبرون فى جودة وإبداع عن تفاعلهم مع الدين وانفعالهم به » (٢٩) .

والدكتور عبدالحليم حفى هو أيضا من الذين تعرضوا لهذه القضية . وقد جاءت دراسته لها مفصّلة ، وكان رأيه أن الشعر قد ضعف فعلاً فى الإسلام ، وساق عدة أسباب لذلك . ثم انتهى إلى أن هذه الأسباب تعود جميعاً إلى أن طبيعة الشعر تختلف عن طبيعة الإيمان ، إذ الإيمان يقوم على الاستقرار ، أما الشعراء فهم كلّ وقت فى حال ، ولا بد لهم حين يشعرون أن يكونوا دائماً محلّقين مطوفين متقلبين بين أجواء الخيال وأفانين التصوير (٣٠) .

وترى سلمى خضراء الجيوسى أن الشعر فى صدر الإسلام أضعف منه فى الجاهلية وفى العصر الأموى معاً . وهى ترد ذلك إلى التغييرات التى جاء بها الإسلام فى المبادئ والأفكار والتى لم يستطع العرب ، وبخاصة الشعراء منهم ، أن يستجيبوا لها عاطفياً كما ينبغى ، وإلى أنه كان من الصعب على الشعر أن يغير من تقاليدته بالسرعة المطلوبة . وهى تؤكد أن شعر حسان الإسلامى ، عدا القصائد الهجائية ، يفتقر إلى تلك الحرارة اللاهبة التى كانت فى شعره قبل ذلك (٣١) .

وهناك غير هؤلاء قالوا بمثل قولهم أو بشيء منه قريب ، ومنهم د. يوسف خليف (٣٢) ، ود. محمد إبراهيم جمعة (٣٣) ،

ود. محمد طاهر درويش (٣٤) ، ود. محمد عبد المنعم خفاجى (٣٥) ، وكذلك المستشرق غوستاف فون غرونباوم (٣٦) . هذه هي مقولة الأصمعى ، وهذه أصداؤها . والطريف أنه قد رُوِيَ للأصمعى نفسه رأي آخر فى شعر حسان بن ثابت يناقض مقولته تلك . قال : « حسان أحد فحول الشعراء » فاعترض عليه أبو حاتم بأن له أشعاراً لَيِّنَةً ، فرد عليه الأصمعى قائلاً : « تُنسَب له أشياء ، لاتصح عنه » (٣٧) . كما أن آراء الأصمعى فى النابغة ، حسبما وصلت إلينا ، هي أيضا مضطربة كما هو واضح مما نقلناه عنه فيما مرّ .

على أية حال ، هذه المقولة تحتاج إلى أن تتناولها بالنقاش نظراً لخطورة القضية التى أثارته . ونبدأ بالناحية النظرية : لقد ظن الأصمعى أن الشعر نكد لايزدهر إلاّ إذا تناول موضوعات الشر ومعانيه . وهذا كلام ملقى على عواهنه ليس عليه من دليل . والعبرة فى الحقيقة بموهبة الشاعر واستعداده النفسى واحتشاده وحسن اختياره للوقت وللظروف التى يقبل فيها على القصيدة . وكم من شعر دينى قد بلغ الروعة فى الجمال والتأثير والامتياز ! وكم من شعر قيل فى الهجاء المقذع أو الإثارة الجنسية المفحشة وفشل فشلاً ملحوظاً ! ثم لقد عدّ الأصمعى مراثى حسان فى الرسول

عليه السلام وصحابته من ذلك اللون من الشعر الذى لم ينجح فيه الشاعر لدخوله كما قال فى باب الخير . ولاندرى على أى أساسٍ عدَّ العالم اللغوى هذا الرثاء بالذات من باب الخير ؟ هل هناك رثاءً يدخل فى باب الخير وآخر يدخل فى باب الشرّ ؟ أليس الرثاء عموماً هو التعبير عن حزن الفقد ولوعته والصدمة التى يثيرها الموت فى نفوس الأحياء وذلك الألم الكونى الذى يحسّونه حين تُذكّرهم هذه الصدمة بأنهم أيضا عما قريب ميتون مدفونون فى ذلك القعر المظلم ومتروكون للدود ينهشهم ليستحيلوا بعد ذلك إلى تراب ؟ فلم إن كان هذا الرثاء فى الرسول وصحابته قيل إنه قد دخل فى باب الخير فضعف ولان ؟ هل يكون الرثاء خيرا أو شرا بحسب شخصية المرثى ؟ وهل نفهم من هذا أنه لو كان فى قاطع طريق مثلا أو فى حاكم مستبد باطش لأتى قويا ممتازا ؟ الحقيقة أن الضعف فى مقولة الأصمعى واضح أشد الوضوح . قد كنتُ أفهم أن يقال مثلاً : لعل حسّان ، فى بعض مرثياته فى الرسول والصحابة ، لم ينتظر الوقت والحالة النفسية الملائمين للنظم فتسرّع ونظم شعرا ضعيفا تحت وطأة الإحساس بأن ذلك أمر واجب لامعدى له عن التقدم للقيام به ، وكأنه لاينظم قصيدة رثاء بل يؤدى واجب عزاء . أما أن يقال إن رثاءه هذا قد دخل فى باب



من أبواب الخير فضعف ولان فهذا مالا أفهمه . وإننا لتتساءل :  
وما رأى الأصمعي فى حائية حسان فى حمزة ونونيته فى عثمان  
وهما من أقوى الشعر الرثائى ؟ ثم ما رأيه فى مناقضاته لشعراء  
مكة المشركين وذبه عن الإسلام ورسوله عليه السلام وهى شعر قوى  
لايقل إن لم يزد فى قوته وجودته عن شعره الجاهلى ؟ ترى هل  
يقول إن الدفاع عن الدين من أبواب الشر ولذلك جاء هذا الشعر  
قويا ؟

على كلّ حال ، لانريد أن ننسى أنفسنا فى المناقشة النظرية ،  
إد المهّم أن ننظر فى دواوين الشعراء المخضرمين ونقارن بين شعرهم  
فى الجاهلية وشعرهم فى الإسلام لنرى مدى صدق الملاحظات التى  
أبداها الأصمعي ، فذلك هو الفيصل فى الأمر .

لقد رجعت إلى عدد من دواوين هؤلاء الشعراء مثل حسان  
وكعب بن زهير وعمرو بن الأهتم والزبيرقان بن بدر وعمرو بن  
معديكرب الزبيدى والعباس بن مرداس السلمى والخنساء ومعن بن  
أوس والحطيئة ، فضلا عن ديوان النابغة الجعدى بطبيعة الحال .  
وهذه هى بعض الملاحظات التى خرجتُ بها فيما يختص بالنقطة  
التى نحن بصدددها :

أن هؤلاء الشعراء لم يتخلوا بعد الإسلام عن الموضوعات التى

كانوا ينظمون فيها فى الجاهلية ، بل ظلّوا يفخرون بأنفسهم وأقوامهم ويهجون خصومهم ويتغزلون كما كانوا يتغزلون من قبل ، ويرثون أعباءهم ويرضون ويسخطون ... إلخ مثلما كانوا يفعلون قبل إسلامهم .

لنأخذ مثلاً لامية كعب ، التى سُمّيت بالبردة والتى أنشدها بين يدى الرسول : ترى ماذا قال فيها ؟ لقد افتتحها بالتغزل فى سعاد وأطال الوقوف عند محاسنها وبخاصة طعم ريقها الذى أخذ يتفنن فى وصف حلوته وتشبيهه بخمر معتقة ممزوجة بماءٍ باردٍ تُنوّق فى اختيار الجدول الذى أحضر منه والوقت الذى استقى فيه . ثم خرج من ذلك إلى تصوير ناقته مثلما كان يفعل شعراء الجاهلية ، وهو ماعده الأصمعى فى مقولته تلك بابا من أبواب الشر كما يعرفه الفحول الجاهليون . كذلك ففى القصيدة هجاء أليم لأنصار أثار من لَدَعِه المهاجرين وأحنقهم عليه ، ولم يرضوا إلا بعد أن عاد فنظم قصيدة فى مدحهم ، وهى بالمناسبة قصيدة فى منتهى القوة (٣٨) ، بل هى أقوى شعره كله وأحسنه ، وليس فى شعره الجاهلى مايدانىها .

ولكعب أيضا قصيدة لامية جميلة بدأها بوصف المشيب وتبرم زوجته به لهذا السبب وردة عليها بأن حالهما واحدة ، فهى أيضا

قد شابت مثله ، فلم التبرم إذن ؟ ثم يمضى فيتذكر أيام شبابه ولهوه مع أصدقائه وشربهم الخمر ، ويصف فعلها فى نفوسهم ، وينطلق على ناقته فى الصحراء فى بهيم الليل مصوراً عزيز الجنّ وهيمنتهم التى لا تُعَقَّل ، والذنب الذى صاحبه فى هذه الرحلة : لونا وعواءً وجسماً ومشياً ومشاعر ، وكذلك الغراب . وحتى البعر الذى سلحته ناقته نراه يتلبث عنده ويصفه . وهو يصف أيضاً خوفه وتردّده عندما أحسّ بالإرهاق : أينام فيعدو عليه وعلى ناقته الذنب أم يسلم أمره للرحمن ؟ وينتهى بأن يضع رأسه ويستريح ، لينهض آخر الليل فيركب ناقته وينطلق مرة أخرى فى سبيله . وفى آخر القصيدة يتمدح بفته الشعرى ويذكر معه الحطيئة فى هذا الصدد . فما رأى الأصمعى فى هذه القصيدة وهى من شعر كعب الإسلامى ؟ أترأه يقول إنها قصيدة ضعيفة لهذا السبب ؟ لا أظن ذلك بحال ، فالقصيدة من أروع ماخلف لنا كعب ( ٣٩ ) . وليس فى شعره الجاهلى أيضاً مايساويها .

وهناك رائيته فى مدح على بن أبى طالب ، تلك القصيدة التى افتتحها ، كما افتتح اعتذاريته للرسول عليه السلام ، بالغزل ( ولكن فى رملة لا سعاد ) ، والشكوى من آلام حبه لها ، ووصف رحلتها هى وقومها ... إلخ . وهى أيضاً من الشعر

الجميل ، وقد قالها بطبيعة الحال بعد الإسلام (٤٠) .

وللزبرقان قصيدة إسلامية يفاخر فيها بقومه قالها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حين أتاه مع قبيلته يعلنون إسلامهم في عام الوفود ، وأخرى مثلها في الفخر بقبيلته (٤١) ، وقد قالها أيضا في عهده صلى الله عليه وسلم (٤٢) ، وغير ذلك .

ولعمرو بن الأهتم أيضا مقطوعة صغيرة يهجو فيها أحد أعضاء وفد قبيلته على الرسول عليه السلام ويعيّره بأنه رومى الأصل (٤٣) . وله مثلها في الفخر بنفسه وبقومه أمام عمر بن الخطاب (٤٤) . وكلتا المقطوعتين قوية عنيقة .

ثم هذا هو العباس بن مرداس السلمى يفاخر بنصره هو وقومه للرسول يوم حنين قائلاً :

نصرنا رسول الله من غضبٍ له      بألف كمى لا تُعَدُّ حراسرُه  
حملنا له في عامل الرمح رايةً      ينزود بها في حومة الموت ناصره  
ونحن خضباها دماً فهو لونها      غداة حنين يوم صفوان شاجرُه (٤٥)

وانظر إلى تمدحه أمام عروسه بما فعل في ذلك اليوم :

ألا هل أتى عرّسى مكزّى ومقدمى      بواد حنين والآنسة تُشرَعُ  
وقرّنى إذا ما النفس جاشت لها: «قرى»      وهامّ تدهدى بالسيوف وأذرع  
كأن السهام المرسلات كواكب      إذا أدبرت عن عجبها وهى تلمع  
وكيف رددتُ الخيل وهى مغيرة      بسزوراء تعطى باليدين وتمنع  
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة      وقد فرّ من فرّ عنه فأقشع (٤٦)

وعندما أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم أباعر ، وكان قد أعطى كلا من الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة بعير ، نظم أبياتاً غاضبة جعلت الرسول يزيد في العطاء حتى رضى (٤٧) .

ولقد ظلت الخنساء ترثى أخاها صخرا في الإسلام كما كانت تفعل في الجاهلية . وهذه المراثى من نفس مستوى مراثيها له قبل إسلامها ألماً وحرقةً وقوة سبك وتعداداً لمآثر الأخ الفقيد . ويمكن الرجوع إلى ديوانها والمقارنة بين الشعيرين . وهذا مثال :

سناقت بسى الأرض وانقضت مخارمها	حتى تخاشعت الأعلام والبيد
وقائلين : « تَعَزَّى عَنْ تَذَكْرِهِ	فالصبر . ليس لأمر الله مردود »
ياصخر ، قد كنت بدرا يمتضا ، به	فقد ثوى يوم متَّ البدر والجود
فاليوم أميت لايرجوك ذو أمل	نمّا حلكت وحوض الموت مردود
وربّ ثغر مهول خضت غمرته	بالمقربات عليها الفتية الصيّد
نصبت للقوم فيه فضل أعينهم	مثل الشهاب وهى منهم عباديد (٤٨)

ولعمرو بن معديكرب مثلاً قصيدة قصيرة يهاجم فيها سعد بن أبى وقاص لأنه وزع يوم فتح القادسية الأموال على أفراد الجيش على قدر ماقرأوا من القرآن مما أثار عمراً وآخرين ودفعهم إلى رفض قسمتهم إلا أن يفضلهم على الناس . وهو يبدأ الأبيات بحديث الطيف ويذكر الشباب ومرابع الديار البعيدة ، ثم يقول :

ألا أبلغ أمير القوم معدا فقد كذبت أليته وجارا

وحرق نابسه ظلما وجهلا  
هبلت ، لقد نيت جيلاد عمرو  
أطاعينُ دونك الأعداء ، شزرا  
بياب القادسية مستميتنا  
أكرّ عليهمو مُهّرى وأحمى ،  
جزاك الله فى جَنبى عقوقنا  
علىّ فقد أتى ذمّا وعارا  
وأنت كخامع تلج الوجارا  
وأغشى البيض والأسل الجِرا  
كليث أركبةٍ يأبى الفرارا  
إذا كرهوا ، الحقائق والذّمّارا  
وبعد الموت زقوماً ونارا (٤٩)

ولعمرو أبيات أخرى فى نفس الموضوع تحمل الروح ذاتها :  
روح السخّط والافتخار ببلائه فى ذلك الفتح (٥٠) .

وإن الإنسان ليتساءل : ماذا يقول الأصمعى فى هذه الأشعار  
وقد قيلت فى الإسلام ؟ أهى من الشعر اللين الضعيف ؟ وكذلك  
ماذا يقول فى بابها ؟ أهو باب خير أم باب شر ؟ قد ينتقد قوم  
عمراً لأنه بذلك ينشز على قائده ويناطحه والموقف خطير عسير  
لايحتمل عصيانا قد يثير الفتنة . ولكن ماذا يفعل الجندى عندما  
يرى نفسه قد أحسن البلاء وبذل أقصى طاقته ثم يُعطى أقل من  
غيره لا لشيء إلا لأنه لا يحفظ من القرآن مثلما يحفظون ؟ إن  
حفظ القرآن هو إنجاز طيب ولامشاخة فيه ، وبالذات فى ذلك  
العصر الأول . إلا أن المكافأة عليه ليس مكانها الحرب ، حتى  
لايوغر ذلك الصدور ويثبّط العزائم .

ومن الشعراء المخضرمين الذين رجعتُ إلى شعرهم معن بن  
أوس المزنّى . وقد وجدتُ له مثلاً قصيدة يفتتحها بالتغزل فى

حبيبته وأصفا لونها وعينيها وجيدها وفمها وريقها وأسنانها وأنفها  
وشعرها وكفلها وساقها وكعبها الممتلىء باللحم وصوتها الغنج  
المغموم :

ببنى بعينى جؤذر بخيليةً      وجيد كجيد الرثم زنته النظمُ  
ووحفٍ يُثنى فى العقاص كأنه      عليها إذا دتت غدائرُها كرمُ  
وأقنى كحد السيف يشرب قبلها      وأثنب رفآن الثنايا له ظلُّمُ  
نهما كفلٌ راب وساق عميمة      وكعب علاء اللحم ليس له حجم  
تصيّدُ ألباب الرجال بأنسها      ويقتلهم منها التدلّس وانثغُمُ  
لُباخيةً عجزاء جُمَّ عظامها      نمت فى نعيم وانمهل بها الجسم  
توالدها بيضٌ حرائر كاندثمى      نواعم لا يبيضُ قصارٌ ولا خُمُ

ثم يخرج الشاعر من ذلك إلى مدح قومها بالكرم والبطولة فى شعر  
كله مثل هذا الطراز قوةً وجمالاً . والقصيدة إسلامية (٥١) .

ولن أحاول أن أحاج من يقول إن هذا الغزل قد يكون داخلاً  
فى باب الشرِّ ، لأن الحاجة فى هذا قد تطول (٥٢) . ولكنى  
أسأل : هل مدح قوم بالكرم والشجاعة صدقاً هو أيضاً يدخل فى  
هذا الباب ؟ أم تراه يدخل فيه أيضاً الأبيات من الحادى والعشرين  
إلى الرابع والخمسين من القصيدة ذاتها وهى فى الحديث عن رجل  
من ذوى رحم معن يبغضه أشد البغض رغم أن الشاعر يبذل له  
صافى مودته ويخلص له النصح ويعمل دائماً لمصلحته ؟ ويصوّر  
معن حيرته وخرج موقفه حينئذ ، إذ هو لا يستطيع أن يعادى ذا

رحمه وفي ذات الوقت إذا عفا عنه وصفح لم يزدد إلا شراً وأشراً .  
 كما يصف نفاذ حيله كلها في كسبه . ثم يقول إنه لم يزل في لينة  
 له وتعطفه عليه تعطف الأم على ولدها وتواضعه معه وصبره على  
 سخافاتهِ وكرههِ وإيذانه حتى قدر في نهاية الأمر ، وبعد جهد  
 جاهد ، أن يستل من نفسه أضغانها ويحوّله من عدو كاشح إلى  
 قريب مسالمٍ . والأبيات ، على طولها ، من أعذب الشعر وأشجاء  
 وأنبله وأقواه فنّاً . ولا أظن أحداً يقدر على المجادلة في أنها داخلة  
 في الخير من أوسع أبوابه .

ولمَعَنَ أيضاً عدة أبيات في التّهكّم بآبن الزبير وبخله والتيس  
 المهزول الذي قدّمه لِقَرِي ضيوفه وكانوا يبلغون ثلاثة وسبعين ، وهى  
 من أمتع الشعر وأوخزه (٥٣) .

أما الحطيئة فلست أحسبُ أن أحداً يجادل في أن شعره  
 الإسلامى من أجود وأروع ما يمكن . ولو لم يكن له إلا الشعر الذى  
 تهكّم فيه بالزبرقان بن بدر وقومه ومدح أبناء عمهم بما فيه من  
 تصوير حىّ ، وسخرية ذكية نافذة رغم خلوها من الفحش  
 والإقذاع ، وعذوبة عبارة ، وموسيقى جميلة لكفاه .

ونقتصر من شعر متمم بن نويرة وأبى ذؤيب الهذلى  
 بمرثيتيهما : الأول فى أخيه الذى قتله خالد بن الوليد ، والثانى



فى أولاده الخمسة الذين ماتوا فى عام واحد . وهما من الشعراء  
المخضرمين ، والقصيدتان إسلاميتان . وليس من السهل العثور على  
نظير لهما من شعر الرثاء الجاهلى .

ونأتى إلى حسان بن ثابت ، الذى كانت ملاحظة الأصمعى على  
شعره هو والنابغة الجعدى أساس مقولته التى كانت مشاراً لهذه  
الأقاويل والآراء الكثيرة عن ضعف الشعر فى الإسلام . لقد حكم  
الأصمعى على شعر حسان فى الإسلام بأنه تنكب شعر الفحول ودخل  
فى باب الخير من مراثى الرسول عليه السلام وصحابته البررة  
الأطهار ، ولذلك ضعف وأصابه اللين والتهافت . وهو حكمٌ ، كما  
كررنا ، مجحف لاينهض على أساس نظرى أو تطبيقي . وقد سقنا  
شواهد من شعر بعض المخضرمين ، وها نحن هؤلاء نسوق شواهد  
من ديوان حسان أيضا تثبت أن مقاله الأصمعى غير صحيح : فلا  
حسّان ترك الأغراض الشعرية التى كان فحول الجاهلية ينظمون  
فيها ، ولا شعره ضعف بسبب الإسلام . أما إن وجدنا له شعراً  
ضعيفاً فذلك وضع طبيعى ، إذ لا يوجد شاعر كل شعره بارع  
متين . علاوة على أن بعض العلماء قد عزوا الشعر الضعيف فى  
ديوان حسان إلى أنه مصنوع ومنسوب إليه زوراً . ولعل الأصمعى  
نفسه هو أول من قال ذلك . وقد سبق أن أوردت كلماته فى هذا

على أية حال ، يمكن الرجوع فى شعر حسان مثلاً إلى همزته التى أولها :

عَفَّتْ ذَاتِ الْأَصْبَعِ فَالْجِرَاءِ . إِلَى عَذْرَاءٍ مَتْرُئُهَا خَلَاءٌ  
وهى فى الرِّدَّةِ عَلَى هِجَاءِ أَحَدِ الشُّعْرَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ  
السَّلَامِ . وَقَدْ وَقَفَ فِيهَا حَسَانٌ عَلَى الْأَطْلَالِ ، وَذَكَرَ الطَّيْفَ ،  
وَوَصَفَ فِتْنَةَ شَعَثَاءٍ مَتَمَثِلَةٌ فِي رِيقِهَا الَّذِي هُوَ أَحْلَى مِنَ الْخَمْرِ  
الْمُزْجِجَةِ مِنْ عَسَلٍ وَمَاءٍ ، وَمِنْ طَعْمِ التَّفَاحِ الْغَضِّ الَّذِي قُطِفَ لَتَوهِ .  
ثم يدخل فى الثناء على الخمر ويتباهى بتعاطيها قائلاً إنهم حين  
يشربونها تجعلهم ملوكاً وأسوداً مفترسة . ثم يهدد قريشاً بغارة إمّا  
أن يخلوا سبيلها فيؤدوا نسك العمرة وإمّا أن يعترضوها فيذلهم الله  
على أيديهم . وهو يتحدث عن إيمانه بالرسول وبالوحي الذى ينزل  
عليه ويفاخر بقومه الأنصار لمسارعتهم إلى الإيمان ونصرة الإسلام  
ونبيه . ويرد على شتيمة ذلك الشاعر للرسول مجلجلاً بأنه هو وأباه  
وعرضه فداء له عليه السلام من أى إساءة تحاول قريش توجيهها  
إليه ... إلخ ( ٥٤ ) .

والقصيدة كما ترى فيها خمر ووصف لبعض مفاتن المرأة ،  
وفيهما هجاء ، وفيها شيء من الفخر ، وفيها مدح للنبي عليه  
السَّلَامِ ، وفيها منافحة عنه وعن دينه ، وتهديد بغارة كاسحة . أى

أنها تجمع بين الأغراض القديمة والجديدة . وكلها من أولها لآخرها  
قوية صلبة ، فلا الخير الكثير الذى فيها نال منها ، ولا الإسلام  
منع حسان مثلاً من أن يتغزل فى تلك التى سماها شعثاء ، على  
النحو الذى شَبَّبَ بها .

كذلك لم يمنعه الإسلام من أن يهجو واحداً من المسلمين  
المهاجرين من رهط أبى بكر الصديق ، وهو هجاءٌ شديد العنف .  
قال :

لو كنتَ من هاشم أو من بنى أسدٍ	أو عبد شمس أو اصحاب اللّوا الصّيدِ
أو من بنى نوفل أو رهط مَطْلَب	لله دُرْكٌ لم تهتمم بتهديدى
أو فى الذّؤابة من قوم ذوى حسبٍ	لم تصبح اليوم نِكْماً ثانى الجيد
أو من بنى زُهرة الأخيّار قد علّما	أو من بنى جُمح البيض المناجيد
أو فى السرارة من تيمٍ رُصيتُ بهم	أو من بنى خَلْفِ الخُضْرُ الجلايد
يا آل تيم ، ألا يُنْهَى سيفهكمو	قبل القذاف بقول كالجلايد
لولا الرسول ، فإنى لست عاصيهُ	حتى يغيبنى فى الرمس ملحودى
وصاحب الغار إنى سوف أحفظه	وطلحةُ بن عبيد الله ذو الجود ،
لقد رميتُ بها شعنا ، فاضحة	يظل منها صحيح القوم كالمودى
لكن سأصرفها جهدى وأعدلها	عنكم بقول رصين غير تهديد
إلى الزبيرى ، فإن اللؤم حالفه	أو الأخابث من أولاد عبودِ (٥٥)

وقد استطاع الشاعر ، كما هو بيّن ظاهر ، أن يقيم توازنا  
بارعاً بين رغبته فى شفاء غيظه من مهجوةٍ وبين انصياعه لمبادئ  
دينه وحبّه للرسول وللصحابة الكبار الذين تربطهم بذلك المهجوة

روابط القرابة ، وانتهى إلى أن حوّل هجاءه وصواعقه إلى ابن الزبيرى  
المشرك الذى كان يهاجى المسلمين ودينهم ونبیهم عليه الصلاة  
والسلام .

والآن ، ماقول الأصمعى فى هذه القصيدة ؟ أهى من شعر  
الخير أم من شعر الشر ؟ سيقال إنها هجاءٌ لمسلم ، وبالتالي فقد  
دخلت فى باب من أبواب الشر ؟ ولكن ألا يمكن أن يكون حسان  
قد قالها دفاعاً عن نفسه وما على دافع العدوان عن نفسه من  
سبيل ؟ وحتى لو قلنا إنها هجاءٌ لايرضاه الإسلام أفليس معنى  
هذا أن الإسلام لم يمنع حسان من قول مثل هذا الهجاء ؟ أياما  
كانت الزاوية التى ننظر منها إلى المسألة فإن مقولة الأصمعى  
تتكشف عن عوارٍ فادح . وعلى أية حال ، فالقصيدة قوية الأسر جدّ  
محكمة .

ولنقرأ أيضا هذه الأبيات ، ولا أظن لحسان شعراً فى  
الجاهلية يدانيها عنفا وإيلاماً وصراحة فى السبِّ . وهى فى هجاء  
هند زوجة أبى سفيان أيام أن كانت لاتزال على الشرك :

أشِرتْ لكَعَاع ، وكان عادتَها	لِزُومٍ إِذَا أَشِرتْ مَعَ الكُفْرِ
لعن الإله ، وزوجها معها ،	هِنْدُ الهِنود طَوِيلَةَ البَطْرِ
أَخْرَجَتْ مُرْقِصَةً إِلَى أَحَد	فِى القَوْمِ مُعْتَقَةً عَلى بَكْرِ

وعصاك إسُّكٍ تتَقِينُ به  
فَرِحَتْ عَجِيزَتُهَا ومِشْرُبُهَا  
ظَلَّتْ تَدَاوِبُهَا زَمِيلَتُهَا  
وَنَسِيتْ فَاحِشَةً أَتَيْتْ بِهَا  
فَرَجَعَتْ صَاغِرَةً بِلَا تِرَةٍ  
زَعَمَ الْوَلَانِدُ أَنَهَا وَلِدَتْ  
دَقَّ الْعُجَايَةِ عَارِيَّ الْفِهْرِ  
مَنْ نَصَّهَا نَصًّا عَلَى الْقَهْرِ  
بِالْمَاءِ تَنْضَحُهُ وَبِالسُّدْرِ  
يَاهِنْدُ ، وَيَحْكُ ، سُبَّةَ الدَّهْرِ  
مِمَّا ظَفِرَتْ بِهِ وَلَا وَثِرِ  
وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْرِ (٥٦)

ولنستمع كذلك إلى عينيته التي يمدح فيها المسلمين من المهاجرين ويصفهم بالإيمان والعفة والحلم ، حتى إذا حاول أحد أن يعتدى عليهم إذا بهم بَطْشَةٌ جبارون ، ويقول إنهم قوم الرسول فلاعجب أن يكونوا بهذا الكرم والنبيل . فالقصيدة كما ترى إسلامية الطابع ، سهولة اللفظ والعبارة والتركيب . كما أنها بسيطة البناء ، إذ هي مبنية على موضوع واحد يدخل إليه الشاعر مباشرة منذ أول بيت ولايفارقه إلى أن يبلغ البيت الأخير . ومع هذا كله ، فهي قصيدة قوية رائعة . فما رأى الأصمعي ومن يشايعه على قوله (٥٧) ؟

أو فلنسمع إلى أبياته اللامية في التنصُّل من كلام الإفك .  
وهي أبيات جميلة مؤثرة ، وكلها إسلامية . ومنها :

حَصَانٌ رِزَانٌ مَا تُرَزَنَ بَرِيْبَةً  
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا  
فَبَانَ كَنْتُ قَدْ قَلَّتِ الذِّيْ زَعَمُوا  
وَإِنَّ الذِّيْ قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَانِطٍ  
وتصبح غرشي من لحوم الغوافل  
وطهرها من كل سوء وباطل  
فلا رفعت سوطي إلى أنامل  
بها الدهر ، بل قول امرئ، بي ما حل

فكيف وودى ماحييت ونصرتسى لآل نبي الله زين المحافل  
 رأيتك ، وليغفر لك الله ، حرّة من المحصنات غير ذات غوائل (٥٨)  
 وله كذلك عدة قصائد إسلامية على روى الميم ، وكلها قوى

وجميل . ومنها القصائد التي تبدأ بالأبيات التالية :

أولئك قرمى ، فإن تسألنى كرام إذا الضيف يوماً ألمّ (٥٩)

\*\*\*

منع النوم بالعشاء، الهومُ وخيالٌ إذا تغورُ النجوم (٦٠)

\*\*\*

هل المجد إلا السؤدد العوذُ والنذى وجاه الملوك واحتمال العظام (٦١)

\*\*\*

إبك ، بكت عيناك ثم تبادرت بدم يعغلُ عرُوبها سجّامُ (٦٢)

\*\*\*

أعين ، ألا ابكى سيد الناس واسفحى بدمع فإن تنزفيه فاسكى الدما (٦٣)  
 وبالمناسبة ، فليس كل شعر حسان الجاهلى قويا جيدا كما  
 يوهم كلام من فضلوه على شعره فى الإسلام ، بل فيه الجيد  
 والردى ، مثلما فى إسلاميه اللين والمتين .

هذا رأى الأصمعى ، وهذه مناقشتنا له . وإذا كان هناك من  
 يتابع الأصمعى على كلامه فثمة من يخالفه القول ويرى أن الأشعار  
 التي قيلت بعد الإسلام تساوى إن لم تفق شعر الجاهلية . ومن  
 هؤلاء ابن خلدون (٦٤) ، وعبدالرحمن البرقوقى (٦٥) ، ود.  
 شوقى ضيف (٦٦) ، ود. سامى مكى العانى ، الذى يرجع دعوى

الأصمعى هذه إلى « ولعه بالغريب ، وهو مقياس شخصى قد لا يوافق عليه الكثير من النقاد » (٦٧) ، وكذلك د. صلاح الدين الهادى ، ورأيه « أن حسانا شاعر مطبوع فى شعره الإسلامى كما كان مطبوعا فى شعره الجاهلى . غاية الأمر أنه تأثر بالأسلوب القرآنى الناصع البيان المطرد السياق الواضح الطريقة السهل الممتنع ، كما تأثر ببشاشة الإسلام ، فلان جانبه ورقته حاشيته وسلست ملكته الفنية ، فاتتهج فى شعره الإسلامى الأسلوب الذى ... يسميه الأصمعى وغير الأصمعى لينا وضعفا ، وماهو فى النظرة المنصفة كذلك . وإنما يعجب الأصمعى وغيره غرابة الألفاظ وضخامة الأسلوب والمبالغة فى المعانى ، ويرون هذا دون غيره مقياس الجودة فى الشعر » (٦٨) .

فإذا أتينا إلى رأى الأصمعى فى شعر النابغة فإننا نراه يقول مرة إن شعره الذى قاله قبل الإفحام ، وهو القسم الجاهلى منه ، شعر جيد ، أما شعره فى الإسلام بعد أن انتشع عنه إفحامه فكأنه مسروق وليس بجيد . ومن هذا قوله إن اللين الذى يوجد فى شعر النابغة إنما سببه دخوله فى باب الخير . ومرة يقول إنه كان شاعرا مطبوعا قليل التكلف ، ولذلك كان يفضل شعره .

ولو تجولنا فى ديوان النابغة فلسوف نجد أن حكم الأصمعى

الأوّل على شعر الشاعر هو حكم ظالم . وقد سبق أن سقت نماذج من أشعاره المختلفة فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ، ومعظمها إسلامى . وهى خير ردّ على كلام الأصمعى . أما رأيه الثانى فهو أقرب إلى الصواب . لكن قول الفرزدق الذى اتكأ عليه الأصمعى فى هذا الحُكْم من أن النابغة كصاحب الخلقان : قد يكون عنده ثوب بآلاف وآخر بواف ، فهو حكم لا يصدق على شعر النابغة وحده بل على كل الشعر تقريبا ، إذ من ذا الشاعر الذى يخلو إنتاجه من الحشف والخشار ؟ وقد سلف منى القول بأن ميمية النابغة فى تحميد الله وتمجيده أقرب إلى النظم منها إلى الشعر .

على أنه إذا كان الفرزدق يقصد أن الجيد والردىء فى شعر النابغة متعادلان كمّا فلست أوافقّه ، إذ معظم شعره جيّد ، أما الردىء فقليل . ومن هنا فإنى أميل إلى رأى ابن سلام الذى عدّ فيه النابغة من المفلتين (٦٩) ، وحكم أبى الفرج الأصفهانى عليه بأنه شاعر متقدم .

أما ما قيل عن أحد أبياته من أنه أمدح بيت قالته العرب فهو كلام لانقف عنده ، إذ هو واحد من تلك الأحكام المطلقة الكثيرة التى تقابلنا فى كتب الأدب العربى القديمة عارية عن الحيثيات .



ولاشك أنّ ما وصف به حنا الفاخوري شعر النابغة من الموسيقى والسلاسة والانسجام متوفر في ذلك الشعر ، ولكن ليس بدرجة كبيرة . وإن فيما سبق أن سقته وحلّته من شعر الشاعر دليلاً على ذلك .

هذا ، ونوافق د. عمر فروخ في أن في شعر النابغة شيئاً من الإقذاع ، وقد بينا ذلك فيما مضى . وكذلك نوافق د. شوقي ضيف في أن الأثر الإسلامي في شعره بارز ، فهو يذكرى التقوى ويحمد الله على أنه لم يمت قبل أن يدخل في الإسلام ، ويستغيث بالرسول وصاحبيه عندما ضربه أبو موسى الأشعري بالسوط ، ويعلن أن الجهاد في سبيل الله واجب ديني لا يمكنه أن يتنصّل منه ، ويمدح ابن الزبير بالعدل والتقوى وبالسير على منهج الخلفاء الراشدين ... إلخ ، وذلك علاوة على ميميته التي هي في معظمها نظم لعدد من آيات القرآن الكريم .

على أن التأثير الإسلامي في شعر النابغة تقابله في الناحية الأخرى آثار جاهلية . وليست هذه الآثار الأخيرة مقصورة على شعره الذي قاله قبل إسلامه ، بل إن في شعره الإسلامي أشياء من ذلك : إنه يفتخر بقومه افتخاراً جارفاً فيه استهانة شديدة بالقبائل الأخرى واحتقار كبير لها . وهو يذكر الخمر التي كان يشربها في

الجاهلية ويتغنى بها ويبدى نشوة في الحديث عن منادمته للمنذر بن محرق . كما أن في بعض شعره الهجائي عرياً فاحشاً ، وذلك واضح في أبياته التي يهجو بها ليلي الأخيلية مما سبق أن تعرضنا له ، والتي دفعتها إلى أن تردّ عليه بالمثل ذاكراً أمّه وأنها هي أيضاً يقال لها : « هَلَا » ، أى أنه إذا كان يعيّرُها بداءٍ ففي أمّه مثله (٧٠) .

وهذه الآثار الجاهلية موجودة في أكثر من قصيدة قالها في الإسلام . وقد وقف أبو زيد القرشي صاحب « الجمهرة » عند أول قصيد قالها النابغة في الإسلام ومطلعها :

خِليِّ ، عرجا ساعةً وتهجّرا      ولوماً على ما أحدث الدهر أو ذراً  
وهي القصيدة التي دوى بها صوته في حضرة النبي عليه الصلاة والسلام عندما وفد عليه مع قومه سنة تسع للهجرة ليعلنوا إسلامهم وخضوعهم لحكومة النبي في المدينة ويصبحوا بذلك جزءاً من أمة المسلمين ، وعدّها من « المشويات » . وقد فسّر هو هذه اللفظة بأنها القوائد « اللاتي شابهن الكفر والإسلام » ، وهي عنده سبع : واحدة لكل شاعر (٧١) .

والذي يهمنا هنا هو قصيدة النابغة . والذي ينظر فيها لا يجد أيّ كفر على الإطلاق ، أما ذكر الإسلام والرسول فهو موجود .

وسائرهما في الحكمة ووصف الفرس وفخر الشاعر بقبيلته وهجائه

لخصومها . لقد ذكر النابغة مثلاً في قصيدة أخرى له ما كان يفعله في الجاهلية من ذبح العتر عند الأوثان ( وقد تناولت ذلك من قبل ) ، أما في هذه القصيدة فليس شئ، من ذلك . ومن هنا فلست أفهم لماذا جعلها صاحب « الجمهرة » من « المشويات » .

ولعلّ هذا هو السبب في أن محقق الكتاب قد حاول أن يقدم من عنده هو تعريفاً آخر لمصطلح « المشويات » ، إذ قال : « المشويات هي التي شابها ، أو شاب أصحابها ، الكفر والإسلام » (٧٢). وهو كما ترى تعريف يحاول به المحقق أن يتلافى قصور التعريف الأول ، ولكن هل يمكن قبوله ؟ لا إخال . ذلك أن صاحب المصطلح مادام قد شرحه بنفسه فهذا هو الشرح الذي نعتمده ونناقشه . وقد بيّنا رأينا فيه . وعلى أية حال ، فالشعراء الذين كانوا كفاراً ثم أسلموا كثيرون ، وهم كل المخضرمين إلى جانب الذين جاءوا بعد ذلك وكانوا نصارى أو يهوداً ثم دخلوا في الإسلام . ولعدد من هؤلاء قصائد تحت تصنيفات أخرى ، مثل حسان وعبد الله بن رواحة (من أصحاب المذاهبات ) (٧٣) ، وأبى ذؤيب الهذلي ومتمم بن نويرة ( من أصحاب المراثي ) (٧٤) . فعلى أي أساس كان هذا التصنيف

هذا ، وقد وصف المفضل القصائد التسع والأربعين التي جمعها أبو زيد القرشي في « الجمهرة » بأنها « من عيون أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ونفيس شعر كل رجل منهم » (٧٥). وهو حكم يشمل قصيدة النابغة ، بوصفها واحدة من قصائد الكتاب . وهذا الكلام هو خير ردّ على دعوى الأصمعي أن شعر النابغة في الإسلام يشبه أن يكون مسروقا وليس بجيد ، إذ القصيدة فعلاً من أقوى الشعر وأمتنه وأجمله في ذلك العصر . ولا أظننى سأكون مغالياً إذا قلت إنه قل أن يوجد لها نظير في موضوعها في الشعر الجاهلي (٧٦) .

وقد سبق أن أوردنا عدداً غير قليل من أبياتها في الفصل الماضي ، وهأنذا أسوق عدداً آخر منها . وإذا كانت الأبيات الأولى من أواخر القصيدة فإن الأبيات التالية ستكون من بدايتها :

خليلى عرجا ساعة وتهجّرا	ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولانجزعنا . إن الحياة ذميمة	فخفّنا لروعات الحوادث أو قرّا
وإن جاء أمر لانطيقان دفعه	فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها	قليل إذا ما الشئ، ولّى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا	تغيّر شيئا غير ماكان قُدرا
أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى	ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
تذكرتُ والذكرى تهيج لذى الهوى	ومن حاجة المحزون أن يتذكر

أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا  
دنائير مما شيف فى أرض قيصرا  
بنجران حتى خفتُ أن أتصبرا  
وجذاه من آل امرى، القيس أزهرا  
مناصفه والحضرمىّ المحبّرا (٧٧)  
ومعتصرا من مسك دارين أذفرا

ندامى عند المنذر بن محرق  
كهولا وشباننا كأن وجرههم  
ومازلت أسعى بين باب ودارة  
لدى ملك من آل جفنة خالهُ  
يدير علينا كأنه وشواهه  
خنيفاً عراقيا ورثطاً شامياً

... إلخ

فأى روعة ! وأى إبداع ! وای ظلم ظلمه الأصمعيّ النابغة  
وشعره فى الإسلام ! أرايت إلى هذه الأفكار البسيطة فى الحياة  
والعميقة أبعد العمق فى آن ؟ إن الجزع لايفيد ولا يرّد شيئا  
فات ، ثم لايجنى الإنسان شيئا إلا البكاء والندم ، فلم الجزع  
إذن ؟ والشاعر حين يقول ذلك لايصطنع نبرة الوعظ ، فهو يرى  
أن الحياة بغيضة ، وهذا كلام لايقوله الوعّاظ ، كما بيّن أنها  
لاتبالي بأحد سواء صبر لروعاتها أو استخفته ، وهذا أيضا كلام  
لايقوله الوعّاظ . ثم هذه الذكريات الأسيانة التى يسترجعها الشاعر  
ليتسلى بها من أحزانه : ذكريات الشباب الهنىء الذى لم يكن يبالي  
شيئا .. ذكريات الأوقات السعيدة الماجدة التى قضها مع المنذر بن  
محرق منادماً ومؤاكلاً ومشاربا ، وهذه التفاصيل التى تبرز تلك  
الذكريات واضحة جلية وتشى بالنشوة القديمة من ذكر لنسب  
المنذر ، والكأس ، والشواء ، والملابس الفخمة التى أتحفهم بها

وأخذ الشاعر يسرد أسماءها ، والمسك الأذفر الذى لايفوته أيضا أن يؤكد أنه وارد دارين .

وقبل ذلك كَلَّه هذه المقدمة التى تبدو وسط مقدمات الشعر الجاهلى كأنها غريبة ، والتى لايقف فيها الشاعر على الأطلال ، ولا يبكى فيها حبه الضائع ، ولايتغنى فيها بالخمير وماتهيجه من طرب وانتشاء ، بل يتجه فيها بالنصح الحكيم إلى خليليه متأملا فى صروف الدهر وطبيعة الحياة .

حقا أن هذه القصيدة هى ، كما قال المفضل ، من عيون الشعر العربى جاهليه ومسلمه . إن الرسول عليه السلام ، وهو أفصح العرب ، لم يملك أن قال للنابغة عندما سمع منه هذه القصيدة وناقشه فى بعض ماجاء فيها : « لايفضض الله فاك » ، وذلك عندما أخذت الشاعر نشوة الفخر وطارت به إلى السماء عند النجوم والشموس والكواكب والأقمار فلم ير لقومه فى الدنيا من نظير فى المكارم والرجولة والجدود والبطولة والسلطان فاستجمع المذخور من طاقته حينئذ عزمًا منه أن يرتقى مرقاة أخرى ،  
قائلا :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإننا لنبغى فوق ذلك مظهرًا

يقصد أنهم يريدون أن يفوزوا بالحسنين : مجد الدنيا ، وعزة

الآخرة ، أى الجنة .

على أن ليست هذه هى القصيدة الوحيدة البديعة فى شعر النابغة ، رغم ماضع من شعره ، وهو فيما يبدو ليس بالقليل ، بل الحقّ أن معظم شعره جميل بديع .

ونأتى إلى المآخذ التى ذكرها المرزبانى فى « موشحه » والأصفهانى فى « أغانيه » .

أول هذه المآخذ ما نُسِبَ إلى الأصمعى من أن البيت التالى :

فأدخلك الله ببرد الجنان جذلان فى مدخل طيب  
من التهافت واللين حتى لو أن أبا الشمقمق هو الذى قاله لكان  
رديئا ضعيفا . وكان الأصمعى قد وصف أبياتا من نفس القصيدة  
بالجودة والمتانة (٧٨) .

والحقيقة أنه ينبغى بادىء ذى بدء التنبيه إلى أننا لانعرف موقع هذا البيت من القصيدة التى أعجبت الأصمعى ، لأن الرواية تقول إنه بعد أن أنشد الأبيات التى استشهد بها على جودة شعر الشاعر أنشد أبياتا أخرى بعدها ولكنها لم تسمّها لنا . ومن ثم فإننا لانعرف كيف وصل الشاعر لهذا البيت . ذلك أن الأبيات التى أوردّها الأصمعى تتحدث عن حوار دار بين الشاعر وسليمى ، التى تعجبت من ابيضاض شعره وشيبه ، فلا تناسب بين هذا وذاك .

حتى جامع شعر النابغة لم يعرف موقع هذا البيت من القصيدة ،

فوضعه مع أبيات أخرى فى آخرها ، كل بيت على حدة (٧٩) .  
ومع ذلك فلو نظرنا إلى هذا البيت بمفرده فلن نجد فيه ما يعاب ،  
لا فى معناه ولا فى صياغته . ولو ذكر الأصمعى شيئا محددًا فيه  
لكان بإمكاننا أن نناقشه ، لكنه اكتفى بهذا الحكم الانطباعى غير  
المعلّل .

ومن هذه المآخذ ما أنكر عليه من التقديم والتأخير فى  
قوله :

وَمَثَلٌ قَهْرٌ بَاكِرْتُهُمَا      فى التباشير من الصُّبْحِ الْأَوَّلِ  
إذ إنه أراد أن يقول : « فى التباشير الأول من الصبح » (٨٠) .  
وهى ملاحظة أسلوبية سليمة ، ولكن ليس فى التركيب الموجود فى  
البيت كل هذا العيب الذى يُوحى به الإنكار ، فالكلام مفهوم .  
وللشعر ضروراته بسبب وزنه وقافيته . وهناك شواهد أخرى على  
قلب التركيب بل على قلب المعنى ذاته أشد من هذا فى شعر  
الشعراء الآخرين . ومع ذلك فإننا نقول إنه لو جاء بتركيب الكلام  
على أصله لكان أفضل .

وأخذوا عليه أيضا قوله :

وما رابها من ربة غير أنها      رأت لِمَتَى شَابَتْ وشاب لداتيا  
إذ قالوا : « أى ربةٍ أعظم من أن رآته قد شاب ؟ » (٨١) .  
وهو نقد فى غير محله ، إذ إنهم نظروا إلى البيت من وجهة نظر



المرأة ، ناسين أن الشاعر إنما يعبر عن موقفه هو ومشاعره هو .  
ومن الصعب عليه أن يعترف أنه ، رغم شيبه ، قد أضحى لا يصلح  
للحب . ثم من قال إن كل من شاب شعره قد شابت نفسه ؟ إننا  
قد نجد بين الكهول ومن تجاوزوا الكهولة من لا يزالون بعافية وخير  
وقدرة على إرضاء المرأة جسدياً ونفسياً .

وقد تعرض إسحاق الموصلي لمثل هذا الموقف فقال :

ورأت شيبا علانى وآتت      وابن ستين بشيب جديرُ  
إن تَرَى شيبا علانى فانى      مع ذاك الشيب حلو مَزِيرُ  
قد يُقَلّ السيف وهو جرازُ      ويصول الليث وهو عقير  
وهو يؤكد ماقلناه .

كذلك طعن بعضهم فى قوله :

وأزجر الكاشح العدو إذا اغف      تابك زَجْرًا منى على أضمِ  
زجر أبى عروة السباع إذا      أشفق أن يلتبسن بالفئمِ  
وقالوا إن أبا عروة هذا كان ، فيما روى عنه ، إذا زجر السباع  
فتق مرارتها من شدة الصيحة ، فإذا صحّ هذا فالمفروض أن تنفتق  
مرائر الغنم معها . وقد ردّ المدافعون عن البيت بأن الغنم كانت قد  
أنست بصوته فلم يعد يُفزعها ( ٨٢ ) .

وهذا نقد عجيب ، إذ ما دخل الشاعر بهذه المتاهة ؟ إن  
النابغة لم يقل إن صيحة أبى عروة كانت تفتق مرارة السباع ، وإنما  
كل ما أراد قوله هو أنه يصيح بالأعداء ، كما كان أبو عروة ذاك

يصرخ في الوحش المغيرة على غنمه فتفر متبعدة فزعة . ومن الواضح أن أبا عروة هذا قد اشتهر بذلك حتى ضربه النابغة مثلاً . هذا كل ما هنالك . وليس من المعقول أن تنتفق مرارة الذئاب والضباع من مجرد صيحة بالغاً ما بلغ عنفوانها . أما كيف كانت الوحوش تخاف ولاتخاف الغنم ، فذلك راجعٌ إلى أن الذئاب لكونها معتدية كانت تتوجس من أى صياح يأتيها من جانب الراعى ، أما الغنم فهذا الصوت نفسه كان يدخل على قلوبها الاطمئنان .

أما المأخذ الذى أخذه هارون الرشيد على بيت النابغة فى رثاء أخيه فقد سبق أن تعرضنا له ورددنا عليه من قبل (٨٣) .

ويبقى ما قيل من أن النابغة كان مغلباً ، إذ لم يشتبك مع غيره فى هجاءٍ إلاّ غلبَ رغم تفوقه على خصمه فى الشاعرية . ونحب أن ننبّه إلى أن المقصود بالغلب هنا هو أن الخصم كان يجيب بمثل ما يجيب الواحد منا بـ « ولو ... » إذا هدده إنسان . فمثلاً عندما قال النابغة مخاطباً عقاب بن خويلد العقيلي ، وكان قد أجاز قوماً أساءوا إلى أهل الشاعر :

تجير علينا وائلاً فى دماننا كأنك مما نال أشياعها عم

يقصد أنهم قادرون على أن ينزلوا بقومه ما أنزلوه بأشباع أولئك الذين أجازهم ، أم تراه لايعلم بما أنزلوه بهم ؟ ردّ عليه عقاب قائلاً : « لا ، بل على عمد يا أبا ليلى ! » (٨٤) . وليس هذا

انتصاراً ، ولكنه مجرد عناد لا أكثر . فهو ليس رداً على شعر ، ولا الردّ عليه يكون بالشعر ، ولكن بأن ينفذ النابغة وقومه تهديدهم .

ومثل ذلك ردّ ليلي الأخيلية عليه عندما أبدى احتقاره لها بسبب وقوفها ضده هو وأهله مع خصومهم ، قائلاً لها إنها امرأة وينبغي ألا تزج بنفسها بين الرجال ، وإن هناك من المشاغل الأنثوية ما كان يجب أن يشغلها عن هذا ، وكان من بين ما قاله :

ألا حَيِّيا ليلي ، وقولا لها : هَلَا فقد ركبت أمراً أغرّ محجلاً

.....

دعى عنك تهجاء الرجال وأقبلي على أدلقى يملأ استك فيشلا  
وكيف أهاجى شاعرا رمحه استه خضيب البنان لايزال مكحلاً ؟  
وهي أبيات ، كما ترى ، في منتهى العنف والفحش والاحتقار .  
بيد أن الأخيلية لم يخجلها شيء من هذا وردت عليه بأن هذا الذي يرميها به موجود مثله في أمّه ، فهي أنثى مثلها ... إلخ :

تعيرني داءً بأملك مثله وأي نجيب لا يقال لها : هَلَا ؟ (٨٥)  
والشاعر لم ينكر ما قالت ، ولا أمّه تدخلت بين الرجال كما تدخلت ليلي الأخيلية ، التي برّدها هذا قد اعترفت بما رماها به النابغة وسلّمت له وإن كابرته . وعلى أية حال ، فإن الشاعر قد صرّح قبل أن ترد عليه بأنه لا يمكنه أن يهاجى امرأة مثلها . فسكوته بعد ردها عليه ليس إذن أمراً مفاجئاً ناشئاً عن أنها أفحمته .

وهناك رواية عن أن النابغة وأحد معارفه من الشعراء ، وهو أوس بن مغراء ، الذى يقولون إنه لايسامت شاعرنا فى موهبته ، كانا يتهاجيان ويبحثان عن بيت من يقله قبل الآخر يصبح هو الفائز . ثم حدث أن توصل أوس إلى نظم بيت هجائى قبل النابغة تقول الرواية إن النابغة قد اعترف بسببه لخصمه بالسبق ، فعذّ هو الغالب والنابغة مغلوباً . وهذا بطبيعة الحال ليس من الأهمية بمكان ، فليست الهزيمة فى الشعر بالآ يسارع الشاعر بنظم البيت المراد . ثم من قال إن البيت الذى توصل إلى نظمه أوس هو البيت المقصود ؟ إن ذلك يصح أن يقال لو كان الاثنان يبحثان عن بيت معين ؟ بيد أن الأمر كما ترى ليس كذلك .

ومن غرائب الأمور أنه فى نفس الوقت الذى يقال فيه إن النابغة الجعدى ما دخل فى هجاء مع أحد إلا غلب نراهم يذكرون أن سبب المهاجاة بينه وبين ليلى الأخيلية أن أحد الشعراء قد ابتدأه بهجاء فأجابه النابغة بقصيدة لامية سمّيت « الفاضحة » ، لأنه ذكر فيها مساوىء قشير وغقيل وكل ماكانوا يُسبّون به ، وفخر بقومه جميعاً ومآثرهم (٨٦) . ألا ترى أننا ينبغى ألا نعطى لمثل هذه الأحكام حجماً أكبر من حجمها ؟ ومع ذلك فإن عدداً من الدارسين العرب المحدثين إذا ذكروا النابغة ساقوا الكلام عن تغلب

الشعراء عليه كأنه حقيقة مسلّمة ! (٨٧)

# الهوامش

- ١- طبقات الشعراء / ١ / ٢٦ ، ١٢٨ .
- ٢- الوراقى : درهم وثلاث .
- ٣- الموشح / ٨٩ - ٩٠ ، وأمالى المرتضى / ١ / ٢٦٩ . وانظر أيضا ، فى حكم الفرزدق والعلماء على شعره ، « الشعر والشعراء » / ١ / ٨١ ، ٢٩١ ، والأغانى / ٤ / ١٣٧ .
- ٤- ابن قتيبة / الشعر والشعراء / ١ / ٣٠٥ . ولأبى منصور الثعالبي كلام مثل هذا عن حسان فى كتابه « خاصّ الخاصّ » / ط مصر / ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م / ٨٠ .
- ٥- العمدة / ١ / ١٠٧ .
- ٦- الموشح / ٩١ .
- ٧- جمهرة أشعار العرب / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ٢ / ٧٦٩ .
- ٨- الشعر والشعراء / ١ / ٢٩١ .
- ٩- الأغانى / ٤ / ١٣٦ - ١٣٧ .
- ١٠- طبقات فحول الشعراء / ١ / ١٢٣ ، ١٢٤ - ١٢٥ .
- ١١- السابق / ٤ / ١٣٠ .
- ١٢- الموشح / ٩٣ .
- ١٣- العسكري / المصون فى الأدب / تحقيق عبدالسلام هارون / الخانجي بالقاهرة ، والرفاعى بالرياض / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / ٢٣ .
- ١٤- تاريخ آداب اللغة العربية / ١ / ١٥٤ - ١٥٥ .
- ١٥- الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه / ١٦٤ - ١٦٥ .
- ١٦- جواهر الأدب / ٢ / ١٤٤ - ١٤٥ .

- ١٧- العصر الإسلامي / ١٠١ ، ١٠٢ .
- ١٨- السابق / ١٠٣ .
- ١٩- السابق / ١٠٢ .
- ٢٠- تاريخ الأدب العربي / ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣ .
- ٢١- د. محمد خضر / أدب صدر الإسلام / ٢٥٠ / هامش ١ .
- ٢٢- حنا الفاخوري / تاريخ الأدب العربي / ٢٤٢ .
- ٢٣- د. خليل إبراهيم أبو ذياب / النابغة الجعدي - حياته وشعره / ٥٤٢ .
- ٢٤- من الذين لا يزالون يقولون بعبادة الإسلام للشعر أو على الأقل بعدم ارتيابه له د. محمد عبدالعزيز الكفراوي ( الشعر العربي بين الجمود والتطور / دار نهضة مصر / القاهرة / ط ٢ / ٤٣ ) ، وسلمى خضراء الجبوسى ، التى تكاد آراؤها تتفق مع آراء د. الكفراوي وبخاصة في تحليلها للآيات الأخيرة من سورة « ص » التى تتحدث عن الشعر والشعراء . انظر دراستها « Early Islamic Poetry » فى كتاب : Arabic Literature to the End of the Umayyad Period , Cambridge University Press , 1983 , pp. 390 - 391 . الباحثة العربية ذلك الكلام نجد نيكلسون ، المستشرق البريطاني ، ينفى قبلها بعشرات كثيرة من السنين العبادة المدعاة المنسوبة للرسول عليه السلام ضد الشعر كفن أدبى . انظر كتابه A literary History of the Arabs , Cambridge Univ. Press , 1979 , p. 235 . وبالمناسبة ، فقد ردّ العلماء العرب القدامى على هذا الزعم منذ قرون بعيدة . ومن هؤلاء ابن رشيقي فى « العمدة » ( ١ / ٢٧ - ٢٢ ) ، وأبو هلال العسكري فى « الصناعتين » ( الآستانة / ١٣٢٠ هـ / ١٣٢ ) .
- ٢٥- انظر كتابه « تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى » / دار الثقافة / الدار البيضاء / ١٩٨٢ م / ١١٣ - ١١٤ .
- ٢٦- د. محمد عبدالعزيز الكفراوي / الشعر العربي بين الجمود والتطور / ٤٤- ٤٥ . وقد قفز الأستاذ الدكتور لهذا السبب فوق عصر صدر الإسلام فلم يحاول أن يدرس أى شىء من شعره .

- ٢٧- د. عبد القادر القط / فى الشعر الإسلامى والأمرى / مكتبة الشباب / القاهرة / ١٩٨٢ م / ١٢ - ١٣ .
- ٢٨- د. عمر فروخ / تاريخ الأدب العربى / ١ / ٢٥٧ . وقد ادعى د. سامى مكى العانى أن فروخ ينفى مقولة ضعف الشعر الإسلامى . انظر كتابه « الإسلام والشعر » / ٢١ .
- ٢٩- د. عباس الجرارى / من أدب الدعوة الإسلامية / دار الثقافة / الدار البيضاء / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م / ٣١ - ٣٢ .
- ٣٠- انظر كتابه « الشعراء المخضرمون » / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٣ م / فصل « الدين والشعر » ( ص ٢٧ - ٣٣ ) .
- 31- Arabic Literature to the End of the Umayyad period , pp. 391-392 .
- ٣٢- حياة الشعر فى الكوفة / دار الكتاب العربى / القاهرة / ١٩٦٨ م / ٦٥٦ .
- ٣٣- حسان بن ثابت / دار المعارف / ١٩٦٥ م / ١٧ .
- ٣٤- حسان بن ثابت / ٧٧ .
- ٣٥- الحياة الأدبية فى عصر صدر الإسلام / دار الكتاب اللبنانى / بيروت / ١٦٣ .
- ٣٦- انظر « دراسات فى الأدب العربى » / ترجمة د. كمال اليازجى / بيروت / ١٩٥٩ م / ١٤١ - ١٤٢ .
- ٣٧- انظر ابن عبد البر / الاستيعاب / المطبعة الشرقية / القاهرة / ١ / ٣٣٨ .
- ٣٨- انظر تلك الأبيات فى « شرح ديوان كعب بن زهير » لأبى سعيد السكرى / الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م / ٢٥ .
- ٣٩- السابق / ٤١ وما بعدها .
- ٤٠- السابق / ٢٥١ وما بعدها .
- ٤١- شعر الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهثم / دراسة وتحقيق د. سعود محمود عبد الجبار / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ٤٦ وما بعدها .



- ٤٢- السابق / ٤٢ وما بعدها .
- ٤٣- السابق / ٨١ - ٨٢ .
- ٤٤- السابق / ٦٥ - ٦٦ ، ١٠٠ .
- ٤٥- انظر د. عبد الله عبد الرحيم عميلان / العباس بن مرداس السلمى الصحابى الشاعر / دار المريخ / الرياض / ط ١ / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / ٧٥ .
- ٤٦- السابق / ١٣٢ .
- ٤٧- السابق / ٣٩ - ٤٠ .
- ٤٨- ديوان الخنساء / دار الأندلس / بيروت / ط ٩ / ١٩٨٣ م / ٤٥ . ويمكن العثور على مرث أخرى لها إسلامية ص ٤٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٣١ .
- ٤٩- شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي / جمع وتحقيق مطاع الطرايشي / مجمع اللغة العربية بدمشق / ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م / ٩٩ - ١٠٠ .
- ٥٠- السابق / ١٠٢ ، ١٢٦ .
- ٥١- ديوان معن بن أوس المزني / صنعة د. نوري حمود النقيسى وحاتم صالح الضامن / دار الجاحظ / بغداد / ط ١ / ١٩٧٧ م / ٣٧ - ٣٨ . وانظر في إسلامية القصيدة مقدمة الديوان / ص ٦ ، وكذلك البيت التاسع عشر والبيت الثانى والثلاثين وكذلك السابع والأربعين من القصيدة .
- ٥٢- وحتى لو تم الاتفاق على ذلك فإنها تكون شاهداً آخر على أن كثيراً من الشعر بعد الإسلام يشبه شعر الجاهلية ، ومن ثم تكون حجة الأصمعي داحضة .
- ٥٣- الديوان / ١٠٥ - ١٠٦ .
- ٥٤- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري / وضع عبد الرحمن البرقوقي / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م / ١ .
- ٥٥- الديوان / ١٣٣ .
- ٥٦- الديوان / ٢٤٨ وما بعدها .
- ٥٧- من الذين رددوا إلى حد كبير رأى الأصمعي في شعر حسان : عمر رضا كجالة ،

- إذ قال إن « شعره الجاهلي أقوى من شعره الإسلامي لتغير البيئة عليه وارتجاله وكثرة ما قال وتقيده بحدود الدين وترك معاييرهِ القديمة وكثرة ما حُمِلَ عليه ». ومع ذلك فقد استدرِك بأن له بعض قصائد إسلامية جيدة . انظر كتابه « الأدب العربي في الجاهلية والإسلام » / المطبعة التعاونية / دمشق / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م / ٨٦ .
- ٥٨- الديوان / ٣٢٤ - ٣٢٥ .
- ٥٩- الديوان / ٣٧٢ وما بعدها .
- ٦٠- الديوان / ٣٧٦ وما بعدها .
- ٦١- الديوان / ٣٨٣ وما بعدها .
- ٦٢- الديوان / ٣٨٥ وما بعدها .
- ٦٣- الديوان / ٣٩٨ .
- ٦٤- انظر « مقدمة ابن خلدون » / دار الشعب / القاهرة / ٥٥٤ .
- ٦٥- انظر مقدمته لديوان حسان بن ثابت / أ مكررة .
- ٦٦- العصر الإسلامي / ٤٣ ، ٤٦ ، ٨١ ، ٩٢ .
- ٦٧- د. سامي مكي العاني / الإسلام والشعر / ٢٥ - ٢٦ .
- ٦٨- د. صلاح الدين الهادي / الأدب في عصر النبوة والراشدين / مكتبة دار العلوم / للقاهرة / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / ٢٦٦ .
- ٦٩- ولست معه في رأيه الآخر الذي يصف فيه شعر النابغة بأنه كان مختلفاً ، يشير إلى مقاله للفرزدق .
- ٧٠- انظر « شعر النابغة الجعدي » / ١٢٣ - ١٢٧ ، وهامش ٥ من صفحة ١٢٦ ، والأغاني / ٤ / ١٣٢ - ١٣٣ .
- ٧١- الجهمرة / ١ / ٢٢٠ . والشعراء الستة الآخرون هم كعب ، والنظامي ، والحطيئة ، والشماخ ، وعمرو بن أحمَر ، وتميم ابن أبي بن مُقَبِل .
- ٧٢- الجهمرة / مقدمة المحقق / ١ / ٣٧ . وقد قال د. عز الدين إسماعيل بشي، مثل هذا هو أيضا . انظر كتابه « المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي »

دار النهضة العربية / بيروت / ١٩٧٦ م / ٨٣ / هامش ٢ .

٧٣- السابق / ١ / ٢١٩ .

٧٤- السابق / ١ / ٢١٩ - ٢٢٠ .

٧٥- السابق / ١ / ٢٢٠ .

٧٦- سبق أن قلت رأيت في الشعر الذي يدور على وصف الخيول والنوق ، فهذا الجزء من القصيدة لا يجد عندي تجاوبا نفسيا .

٧٧- أخذت هنا بالرواية الثانية لهذه القصيدة في « شعر النابغة الجعدي » ، وهي تختلف قليلا عن الرواية التي أخذت بها من قبل . وكانت « مَنَاصِفُهُ » هناك « مَنَاصِفَةٌ » .

٧٨- الموشح / ٨٩ - ٩٠ .

٧٩- انظر « شعر النابغة الجعدي » / هـ ( فقرة ٣ ) ، ٣٣ .

٨٠- الموشح / ٩٣ .

٨١- نفس المرجع والصفحة .

٨٢- انظر « الكامل » للمبرد / تحقيق زكي مبارك وأحمد شاکر / ط البابي الحلبي / ٥١١٠ .

٨٣- في دراسة د. خليل إبراهيم أبوذياب « النابغة الجعدي - حياته وشعره » ، التي وقعت في يدي بعد الانتهاء من هذا البحث ، نجده يورد عدداً من هذه الانتقادات مرافقا عليها ( ص ٥٤٦ ومابعداها ) .

٨٤- الموشح / ٩١ - ٩٢ .

٨٥- الأغاني / ٤ / ١٣٢ - ١٣٣ .

٨٦- انظر « الأغاني » / ٤ / ١٣١ - ١٣٢ ، وشعر النابغة الجعدي / ٩٩ - ١٠٠ ( بالهامش ) .

٨٧- انظر مثلاً « العصر الإسلامي » للدكتور شوقي ضيف / ١٠٢ ، ومقدمة محقق

شعر النابغة / ص ، و « تاريخ الأدب العربي » للدكتور عمر فروخ / ١ / ٣٤٣

## السمات الفنية في شعر النابغة

أبدأ هذه السمات بما أشرتُ إليه من قبل من أن مقدمة إحدى قصائد النابغة تبدو لى غريبة أو شبه غريبة وسط مقدمات الشعر الجاهلى ، إذ لم يجعلها الشاعر فى الأطلال ولا فى النسيب ولا فى الخمر مثلاً ، بل أدارها على الحكمة والتأمل فى أحوال الحياة وصروف الدهر ، وهى القصيدة التى مطلعها :

خلى ، عرجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا (١)  
وحتى عندما يقف فى قصائده على الأطلال لا تكون هذه الأطلال دائما أطلال حبيبته وقومها ، ففى قصيدته اللامية التى تبدأ بقوله :

لمن الدار كأنضاء الخَلِّ لُ عَهْدُهَا مِنْ حَقَبِ الدَّهْرِ الْأَوَّلِ (٢)  
نجد أن الدار هى دار قومه ، الذين أدركهم ( كما يقول ) عنت الدهر وَخَبَلُ العيش ، والذين يأخذ فى الحديث عن أمجادهم القديمة قبل أن تنيخ عليهم بكلكلها الأيام ، ويبدى أساه الشديد لما نزل بهم (٣) . فهى من المقدمات التى تبدو مخالفة للتيار العام فى ذلك العصر . يقول :

لمن الدار كأنضاء الخَلِّ لُ عَهْدُهَا مِنْ حَقَبِ الدَّهْرِ الْأَوَّلِ  
دار قومى قبل أن يدركهم عنت الدهر وعيش ذو خَبَلٍ  
إذ همو من خير حى سُوْقَةً وطىء الأرض بسهل أو جبَلٍ

لغريب قام فيهم سائلا  
يستخفون إلى الداعى بهم  
هزة النائل فيهم والندى  
ولجارٍ جُنُبِ جَاءَ، فَحَلَّ  
والى الضيف إذا الضيف نَزَلُ  
وثقائلٌ عند أطراف الأسلُ

.....

سأتنى جارتى عن أمتى  
سأتنى عن أناس هلكوا  
طلبوا المجد فلما أدركوا  
وضع الدهر عليهم بَرَكَةً  
وأرانى طَرِباً فى إثرهم  
طرب الواله أو كالمختبل  
وإذا ما عىّ ذو اللب سألُ  
شرب الدهر عليهم وأكلُ  
لكتابٍ وانتهى ذاك الأجل  
فأراه لم يغادر غير قَلَّ

وهناك قصيدة أخرى ربما كانت مقدمتها هي أيضا من شكل

هذه المقدمة ، وهي القصيدة الثانية عشرة فى شعر الشاعر ، والتي

تبدأ بالبيت التالى :

ألم تسأل الدار الغداة : متى هيا ؟ عدتُ لها من السنين ثانيا (٤)  
ذلك أن الشاعر يباهى بأهل هذه الديار ، ويشبههم بالملوك العظام ،  
ويصفهم بالوقار والتغلب على الأعداء والرجولة والأريحية . ومثل  
هذا الكلام إنما يقوله الشعراء عادة فى قومهم لا فى أهل  
حبيبتهم . ثم هو فوق ذلك يأسى على ما أصابهم الدهر به ،  
مثلما فعل فى المقدمة السابقة . فلهذا لا أستبعد أن تكون هذه  
المقدمة من نوع تلك .

ويتكرر فى شعر النابغة الإشارة إلى هلاك أهله وأصدقائه :

وقالت ليلى : أرى رأسه كخاصية الفرس الأشهب



وذلك من وقعت المنون  
أتين على إختسى سبعة  
فسادة رهطى حتى بقي  
ففينى إليك ولا تعجسى  
وعُذّن على ريعى الأقرب  
تُ فردا كصيصة الأعضب

.....

أصابهم القتل ثم الوفاة  
مضوا سلفا ثم لم يرجعوا  
هذّ الإثشاء بالمخْلِيبِ  
إلينا ، فيالك من موكب ! (٥)

\*\*\*

تذكرتُ والذكرى تهيج لذى الهوى  
ندامى عند المنذر بن محرق  
ومن حاجة المحزون أن يتذكرا  
أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا (٦)

\*\*\*

لمن الديار كأنضاء الخَلْلُ  
دار قومى قبل أن يدركهم  
عهدها من حقب الدهر الأول ؟  
عنتُ الدهر وعيشُ ذو خَبَل (٧)

\*\*\*

عهدتُ بها الحىّ الجميع كأنهم  
غدا فتيا دهر فمراً عليهم :  
عظامُ الملوك عَزَّةً وتباها  
نهاراً وليلاً يلحقان التواليا (٨)

كما تكرر عنده ذكر الموت :

المرء يرغّب فى الحيا  
ة ، وطول عيش قد يضره

.....

كم شامت بى إن هلكتُ  
تُ وقائل : لله درّه (٩)

\*\*\*

إذا المرء علبى ثم أصبح جلدُه  
كزخض غسيل فالتينُ أروح (١٠)

\*\*\*

ترى الغصن فى عنفوان الشبا  
زمانا من الدهر ثم التوى  
ب يهتَز نى بهجاتِ خُضْرُ  
فعاد إنى صفرة فانكسر (١١)

ثم المنية بعد ذلك كله . وكانما يُعنى بذاك سوانا (١٣) ،  
وأغلب الرأي أن هذه الأشعار قد قيلت في شيخوخة الشاعر ،  
عندما أحس بالحياة تتسرب من بين أصابع يديه ، وأهله وأحباؤه  
يتساقطون ويخلفونه وراءهم يقاسى وحشة التفرد . ومثلها أشعاره  
في المشيب :

وقالت سلمى : أرى رأسه كناية الفرس الأشهب (١٤)

\*\*\*

إمّا ترى ظلّ الأيام قد حسرت عنى وشمرت ذبلا كان ذبلا  
وعمّنتى بقايا الدهر من قطنٍ فقد أنضج ذاك فرقىن ميتالا (١٥)

\*\*\*

فلا هي ترضى دون أمرد ناشيء ولا أستطيع أن أرد شبايبا  
وقد طال عهدى بالشباب وأهله ولاقيت روعاتٍ يُشِبِن النواصيا (١٦)

\*\*\*

ومارابها من ربةٍ غير أنها رأت لمتى ثابت وشاب لداتيا (١٧)  
هذا ، وقد سبق أن أوردنا له أشعاره التي يتحدث فيها عن  
استطالة عمره (١٨) .

وفي شعر النابغة يقابلنا مرارا حوار بين الشاعر وإحدى

النساء :

وقالت سلمى : أرى رأسه كناية الفرس الأشهب

وذلك متن وقعات المنون ففئسى إليك ولا تعجبى (١٩)

\*\*\*

وفى شعر النابغة يقابلنا مرارا حوار بين الشاعر وإحدى

النساء :

وقالت سليمانى : أرى رأسه كنافية الفرس الأشهب  
وذلك من وقعات المنون ففينى إليك ولا تعجبى (١٩)

\*\*\*

سألتنى جارتى عن أمتى وإذا ماعى ذو اللب سأل  
سألتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل  
طلبوا المجد فلما أدركوا لكتاب وانتهى ذاك الأجل (٢٠)

\*\*\*

دعى عنك تهجاء الرجال وأقبل على أذلقى يملأ استك فيثلا (٢١)

\*\*\*

تلوم على هلك البعير ظعيتى وكنت على لوم العواذل زاربا  
ألم تعلمى أنى رزنت محاربا فما لك منه اليوم شىء ولا ليا؟ (٢٢)

\*\*\*

باتت تذكرنى بالله قاعدة والدمع ينهل من شأنهما سبلا  
يا ابنه عمتى ، كتاب الله أخرجنى كرها، وهل أمنع الله مافعلا؟ (٢٣)

\*\*\*

قالت أمامة : كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الأوثان ؟  
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها ، وكنت أعدم الفتيان (٢٤)

وقد تناول الشاعر أربع مرات على الأقل وصف ريق الحبيبة ،

وشبه نكهته برائحة النباتات العطرية وطعم العسل والخمر :

كان القرنفل والزنجبيل يُعل على ريقها الأطيب (٢٥)

\*\*\*



كَأَن فَاهَا إِذَا تَبَسَّمْ مِنْ طَيْبٍ مِثْمٌ وَحَسَنٌ مُبْتَسِّمٍ  
يُسَنَّ بِالضَّرْوِ مِنْ بَرَأَفَشٍ أَوْ هَيْلَانَ أَوْ ضَامِرٍ مِنَ الْعُثْمِ (٢٦)

\*\*\*

وَكَأَن فَاهَا بَاتَ مَغْتَبِقَا بَعْدَ الْكُرَى مِنْ طَيْبِ الْخَمْرِ  
شَرْقَاً بِمَاءِ الذُّوْبِ أَسْلَمَهُ بِالطُّوْدِ أَيْمَنُ مِنْ قَرَى النَّسْرِ (٢٧)

\*\*\*

فَمَا نُظْفَةً كَانَتْ صَبِيرٌ غَامِئَةً عَلَى مَتْنِ صَفْوَانٍ تَزْعَزَعُهُ الصَّبَا  
عَلَى مَجَبَّةٍ مِنْ صَفْرِ أَرِيٍّ أَتَى بِهَا حَرِيصٌ يَرَى فِي الْحَقِّ أَنْ يَتَكَسَّبَا  
بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا وَلَا طَعْمَ رَيْقَهَا إِذَا النِّجْمُ أَصْفَى لِلْمَغِيْبِ وَصَوَّبَا (٢٨)

ومن سمات شعر الجعدي كذلك ما نعثر بين الحين والحين  
فيه من عرى وهجاء مقذع مما تكررت إشارتنا له فيما سلف بما  
يغنيننا عن إعادة القول فيه هنا (٢٩) .

كما وجدته في بعض المواضع يضمن الأمثال :

وبعض الأخلاء عند البلا ، والرَّزَّ، أروغ من ثعلب (٣٠)

\*\*\*

وإن امرأً أهدي إليك قصيدةً كمتبضعٍ تمرًا إلى أرض خيبرا (٣١)

\*\*\*

فقلتُ لها : عيشي جُعَارٍ ، وَجَرَّى بلحم امرئ، لم يشهد اليومَ ناصره (٣٢)

وهناك اقتباسات من القرآن في شعره المتبقي لنا تبلغ

العشرة . وهذه بعضها :

فلما قضيتم كل وترٍ ودمنئةٍ وأدرككم نصرٌ من الله مُعْجِبٌ (٣٣)

\*\*\*

فأصبح فى الناس كالسامرى إذ قال موسى له : لامسا (٣٤)

\*\*\*

إن يك ضاع ما حملتُ فقد حملتُ إثما كالطرد من إضمٍ (٣٥)

\*\*\*

كأن زفير القوم من خوف شره وقد بلفت منه النفوسُ التراقيا  
زفير متمم بالمشيئِ طرقت بكاهله فلا يرسم الملتايا (٣٦)

وهذا طبعاً غير قصيدته « الحمد لله لاشريك له » ، فهى  
مملوءة بالألفاظ والعبارات القرآنية ، وهو لاشك من تأثير  
الإسلام (٣٧) .

وتكثر فى قصائد النابغة أسماء المواضع والأشخاص كثرة  
لافتة . ويجد القارىء أمثلة لهذا الملمح فى ص / ٥ ، ٧ ، ٨ ،  
٩ ، ٢٥ ، ٦٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ،  
١٩٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ من الديوان .

ومن آن لأن نفاجاً بلفظة حوشية قد ماتت بل ماتت حتى  
صيغتها ، مثل : « يوم أرونانى » ، أى صعب (٣٨) ، وكذلك  
« عيطموس » فى البيت التالى وصفا للناقة ، ومعناه : الفتية  
العظيمة الحسنة :

سَدِيسٌ لَدَيْسٌ عِطْمُوسٌ سِئِلَةٌ تُبَارُ بِهَا الْمُحَصَّنَاتُ النَّجَانِبُ (٣٩)  
و « مُحْرَتَيْي » ، (٤٠) ، أى الذى يُبَيِّتُ لداهية فى  
نفسه ، و « عَمَّمَم » (٤١) ، أى الجمل القوى الشديد ،

و « هُنْبَاء » (٤٢) ، أى المرأة الحمقاء . ولكن هذه هى تقريبا كل الألفاظ التى من هذا النوع فى شعر الشاعر ، فهو مقلّ من حوشى الكلام .

وفى شعر النابغة ، كما هو الحال عند كثير من شعراء ذلك العصر ، تتردد كلمة « أبلغ ( كذا إلى فلان ) » أو مافى معناها . ويمكن وجود بعض الشواهد على تلك اللفظة فى ص / ٧ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ٢١١ ، ٢٣٤ من ديوانه .

ويكثر الطباق والمقابلة كثرة ملحوظة . ويجد القارىء أمثلة على ذلك فى ص / ٢٦ ، ١١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١ . وبالمناسبة فإن الصفحة الواحدة كثيرا ماتضم عدة طباقات .

ويتكرر عند النابغة قوله إنه لولا كذا لفعل كذا وكذا . وعادة ما يكون السبب المانع له من فعل الشئ، قيمة كريمة ، كالتقوى أو صلة الرحم مثلاً . وقد يكون التعبير بـ « لولا » أو بكلمة فى معناها :

أبى لى البلاء؛ وأنى امرؤ إذا ماتبيئتُ لم أرتبِ (٤٣)

\*\*\*

ملكننا فلم نكشف قناعا لحرّة  
ولر أننا شننا سوى ذاك أصبحت  
ولكن أحساباً نمتنا إلى العلا  
ولم نمتلب إلا الحديد المترا  
كرائمهم فينا تباع وتُشترى  
وأباء صدق أن نروم المحقرا (٤٤)

\*\*\*

منع القدر ، ففلم أهميم به وأخو القدر إذا هم فعَلْ  
خشيةُ الله وأنسى رجُلُ إنما ذكّري كناسٍ يقبلُ (٤٥)

\*\*\*

يا ابن الحيا ، إننى لولا الإله وما قال الرسولُ لقد أنسيْتُك الخالا  
لقد وسمتُك وسما لا يغيّبُه ثوباك يبرق فى الأعناق أحوالا (٤٦)

\*\*\*

فلولا أن ثقلبَ رهطُ أمى وكعبٍ ، وهو متى ذو مكانٍ  
تراجمتنا بصدر القول حتى نصير كأننا فرسا رهانٍ (٤٧)

\*\*\*

لولا ابن حارثةَ الأميرُ لقد أغضيت من شتى على زغمٍ (٤٨)  
وفى شعر النابغة لون من التكرار يقوم على ذكر اللفظة أولاً  
مفردة ثم ذكرها بعد ذلك مضافة (٤٩) :

ومرّ دون ذاك هُوى له هوى القطامى للأنسِ (٥٠)

\*\*\*

فلما دنا للخرج خرج عنيزةً وذى بقرٍ ألقى بهن المراسيا (٥١)

\*\*\*

هديرٌ هدير الثور ينفض رأسه يذبُ بروقيه الكلاب الضواريا (٥٢)

\*\*\*

أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جَوَابُ الغلاة عثمتُم (٥٣)

\*\*\*

لا أخدع البوّبُ الزعم أزمانه ولا أقيم بدار العجز والهون (٥٤)

\*\*\*

رَأَيْتَ الْبَكْرَ بَكَّرَ بَنَى ثَمُودٌ وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكَّرَ الْأَشْعَرِينَا (٥٥)

\*\*\*

أَقْبَرَتْ مِنْهُمْ الْأَجَارِبُ فَالْتَهَتْ سِيٌّ وَحَمَطَى فَرُوضَةً الْأَذْحَالِ  
فَجُبِيٌّ فَالْتَفَرَّ فَالْفَصْحُ فَالْأَجْدُ دَادَ قَفَرٌ فَالْكُورُ كُورٌ أَثَالِ (٥٦)

وشمة تركيب تردّد عدة مرات في شعر النابغة يقوم على النفي

المزدوج ويتخذ غالبا الشكل التالي : « لا ... ولا ... » :

جَوْنٌ كَجَوْرُ الْحِمَارِ جَرَدَهُ الْ خِرَاسٌ لَا نَاقِسٍ وَلَا هَزِيمٍ (٥٧)

\*\*\*

فَلَا هِيَ تَرْضَى دُونَ أَمْرَدٍ نَاشِيٍّ وَلَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أُرَدَّ شَبَابِيَا (٥٨)

\*\*\*

وَحَلَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغِيَا سَوَاهَا وَلَا عَنْ حَبِهَا مَتْرَاحِيَا (٥٩)

\*\*\*

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي رُزِّئْتُ مُحَارِبَا فَمَالِكٌ مِنْهُ الْيَوْمُ شَيْءٌ وَلَا لِيَا (٦٠)

\*\*\*

وَلَمْ يُمَسِّ بِالسَّيْدَانِ نَبْحٌ لِنَامِعٍ وَلَا ضَوْءٌ نَارٍ إِنْ تَنَوَّرَ رَاكِبُ (٦١)

\*\*\*

دَارٌ حَيٌّ كَانَتْ لَهُمْ زَمَنُ التَّوْبَةِ لَا عَزْلٌ وَلَا أَكْفَالٍ (٦٢)

\*\*\*

لَا ضِنَالٌ وَلَا عَوَارِيرٌ حَتَّىٰ لَوْنُ يَوْمِ الْخِطَابِ لِلْأَثْقَالِ (٦٣)

وعند النابغة عدد طيب من التعبيرات والصّور الطازجة . ومن

ذلك « الموت الصّهّابي » و « الشرّ العريان » :

فَجَنْنَا إِلَى الْمَوْتِ الصَّهَابِيِّ بَعْدَمَا تَجَرَدَ عَرِيَانٌ مِنَ الشَّرِّ أَخْدَبُ (٦٤)

وكذلك العبارة التي تصور الرنين العميق والضخم لصهيل

حصان وكأنه خارجٌ لا من صدره ، بل من جوف بئر عميق :

ويصهل فى مثل جوف الطوى صهيلاً يبين للمُغربِ (٦٥)

ولعل جريراً قد استهلم هذه الصورة فى قوله :

يَشْتَقْنَ لِلنظر البعيد كأنما إرناها بيوائن الأشطان (٦٦)

ولنتأمل أيضاً الصورة التي فى البيت الأخير من الأبيات

الثلاثة الآتية ، حيث يشبه الشاعر بربرة ثور وحشى ببربرة رجل من

الروم ضُرب على ظهره ضرباً مبرحاً دون جريرة فأخذ يتوسل ويجأر

طالباً النجدة :

فهايجها (٦٧) حشش القوائم سابح رعى بجراء الجين بالصيف أشهراً

أتىح لها من أرضه وسائنه فلما رآها مطلع الشمس بربراً

كبربرة الرومى أوجع ظهره على غير جرم فاستضاف ليُنصراً (٦٨)

وكذلك وصفه الأرض بأنها « بلاد الله » ، وهو نفس التعبير

الذى تستعمله الآن لغتنا العامية فى قولنا : « بلاد الله . خلق

الله » . فهذه النكهة الشعبية تكسبه حلاوةً ولطافة :

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتُعذرا (٦٩)

ولاجرم أن وصفه للهلكى من أهله بأن الدهر قد شرب عليهم

وأكل هو من الصور الرائعة . صحيح أننا نستخدم الآن هذا التعبير

دون أن نلتفت إلى مافيه من خيال ، وذلك لكثرة دورانه على

الألسن وأسلات الأقلام ، ولكننا لو خرجنا من طوق الإلف الحديدى

ونظرنا إليه بتأنّ لبان لنا تعبيراً جميلاً موحياً مؤثراً . إن تصوير الدهر وقد تربع عليهم وأخذ يأكل ويشرب على راحته ولايبالي سقوط فتات الخبز وبقع الإدام والدمس عليهم لهو من وثبات الخيال :

سأنتنى عن أناس هلكتوا شرب الدهر عليهم وأكل (٧٠)

ومثل هذه الصورة طرافةً قوله يصف مشيب رأسه :

وعتمتنى بقايا الدهر من قطنٍ فقد أنضج ذا فِرْقَيْنِ مَيْتَالَا (٧١)

حيث شبه شعره الأبيض بالقطن ، وهو تشبيه لا أذكر أنى قابلته فى هذا السياق فى شعر ذلك العصر .

كذلك فإن فى قوله « ممن لا تَعُدُّ » فى البيت التالى :

من الجنود وممن لا تَعُدُّ ، فلا تفخر بما كان فيه الناس أمثالا (٧٢)

خروجاً على المؤلف من قولهم : « لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى » . إن التحوير فى العبارة يبدو ضئيلاً لاقيمة له ، لكن تحويل الكلام من صيغة المبنى للمجهول إلى المعلوم وإسناده بالذات إلى ضمير المخاطب قد أكسب الكلام حيويّة وجعل القارىء أو السامع جزءاً من الكلام ، أو كما نقول الآن : وضعه فى قلب الصورة ، وصار الكلام بذلك ذا خصوصية بعد أن كان عاماً مجرداً .

وأيضاً فإن وصفه ليوم عصيب أوقع قومه فيه بأعدائهم فى إحدى المعارك بأنه « يَوْمٌ ... غير ذى متنفسٍ » هو من الأوصاف النابضة الغنية ، إذ هو وصف قابل لأكثر من تفسير : فقد يكون

المعنى أن أحداً لا يستطيع التنفس فيه ، إذ إن حرّ الحرب وثقل الهزيمة وما أصاب نفوس الأعداء فيها من غمّ وذلة قد كظم الأنفاس ، أو أنهم من رعبهم قد حبسوا أنفسهم توجُّساً من المصائب التي يتوقعون سقوطها على رؤوسهم وهيبةً لقوم الشاعر . وما يخلع على العبارة مزيداً من الطرافة استخدام الشاعر للمصدر الميمى « متنفّس » ، وهو مصدر قليل الاستخدام وبخاصة مع الأفعال المكونة من أكثر من ثلاثة أحرف ، بدلاً من المصدر العادى : « تنفّس » . يقول النابغة :

ويسوم شديد غير ذى مُتَنَفِّسٍ    أصمّ على من كان يُحَسَبُ راقياً (٧٣)

وفى الشعر العربى القديم كنيات متعددة للدلالة على

التأييد ، مثل : « ماحنّت ورقاء » و « ما أقام ثهلان /

ثبير / عسيب » (٧٤) . و « ما أهلّ الحجيجُ ولَبَّوْا » ...

إلخ . أمّا قول النابغة : « ماغرد ركب » فيبدو لى شيئاً طريفاً :

تعالوا نُحالف صامتاً ومزاحماً    عليهم نصاراً ماتغرد ركبُ (٧٥)

هذا ، وفى البيت التالى صورة ما أبدع ! وما أروع ! :

بالأرض أستاذهم عَجَزاً وأنهمرو    عند الكواكب بغيا . يا لَذَا عَجَبًا (٧٦)

ولا أحسب هذا الكلام محتاجاً من جانبى إلى تعليق .

وقد تكرر عند النابغة استمداده الصورة من عالم الملابس :

تردّيتُ ثوب الذل يوم لقيتها    وكان ردائى نخوةً وتجبّراً (٧٧)

\*\*\*



إذا ما الضجيع ثنى جيدها      تثنت عليه فكانت لباسا (٧٨)

\*\*\*

فالحمد لله إذ لم يأتنى أجلى      حتى لبست من الإسلام سربالا (٧٩)

\*\*\*

لقد وسمتُك وسماً لا يغيُّبه      ثوباك يبرق في الأعناق أحوالا (٨٠)

\*\*\*

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم      وتجعلوا جلد عبد الله سربالا (٨١)

\*\*\*

ولبت م الإسلامِ ثوبا واسعا      من سيبٍ لا حرمٍ ولا ممانٍ (٨٢)

وفى غير قليل من الأحيان يلجأ النابغة الجعدى فى وصفه  
لمنظرٍ أو موقفٍ ما إلى إيزاد بعض التفاصيل التى تجعل الصورة  
تكاد تنطق . ومن هذا قوله فى وصف معركة دارت بين قبيلته  
وأعدائهم :

بَطَّعْنِ كَتَشَهَاتِ الْجَحَاشِ شَهْقَهُ      وضربٍ له ما كان من ساعدٍ خلا  
فلم أر يوما كان أكثر باكيا      ووجها ترى فيه الكآبة مجتلى  
ومُفْتَضِّلاً عن ثدى أم تحبّه      عزيز عليها أن يفارقن مُقتلى  
وأشمت عريانا يُشَدُّ كِتَافُهُ      يُلام على جهد القتال وما اتلى (٨٣)

ومثل ذلك تصويره التالى لرحيل القبيلة حيث يذكر الأصوات  
المختلفة من غناءٍ ونداءٍ للإبل ونقر وحذاء ، حتى ليخيل للسامع أو  
القارىء أنه يسمع بأذنيه هذا كله ويشاهد رحيل القبيلة بأَم عينيه .  
ولا ينبغى أن نسهو عن استخدامه لضمير المخاطب هنا أيضا :

إذا ظعنوا يوما سمعت خلالهم      غناءً وتأييها ونقرا وحاديا

ورنّة هتّاف العشيّ مكبّل ينازعه الأوتارَ من ليس راميا (٨٤)

ويجرى في نفس الطريق البيت التالي :

ولم يُمسِ بالسيدان نبجّ لسامعٍ ولاضوء نارٍ إن تنوّر راكبُ (٨٥)

وإن من أمتع اللوحات الشعرية هذه اللوحة التي تعرض علينا صورة أحد خصوم قبيلة الشاعر متروكة جثته في العراء إثر المعركة طعاما للضباع وقد انحشرت في إلبته الحربة التي قُتل بها وانكسرت في جسده قناة الرمح التي سُددت إليه :

تركروا عمران مجنّداً لضباع حوّله رزْمه  
في صَلاة أَلَّة حُشُرٌ وقناة الرمح مُنْقَصِمه (٨٦)

إن هذه التفصيلات لها كل الخطر في الشعر والأدب . إنها تجسّم المشهد وتنفخ فيه الحياة .

وفي النابغة بساطة في التعبير عن مشاعره دون تحرّج ، فهو يقول مثلاً إنه إذا لم يستطع أن يرى حبيبته فإنه يجد شفاء نفسه في رؤية أي من جيرانها . إن سعادته في الحب تتحقق بأدنى ملاسة :

تقضى زمان الوصل بيني وبينها ولم ينقضِ الشوق الذي كان أكبرا  
وانسى لأستشفى برؤية جارها إذا ما لقاؤها علىّ تعذراً (٨٧)

وإذا طالبهم أعداؤهم أن يردوا الروح فيمن قتلوهم منهم أخذ الأمر بجدّ ، وكان جوابه ببساطة : إننا لانستطيع أن نحیی من مات ، ولكننا نستطيع أن نमित من كان حيّا :

وقالوا لنا : أحيوا لنا من قتلتمو لقد جنتموا إذا من الأمر مُنكرًا

ونسنا نردّ الروح فى جسم ميتٍ وكنا نسلّ الروح ممن تبشرا (٨٨)

وهو يأخذ الحياة كما هى ، ويعرف أنه متى مات فسوف يشمت به قوم ويترحم ويشنى عليه قوم آخرون ، ولا يجد أية غضاضة فى أن يصرح بذلك فى شعره :

كـم شامت لى إن هلكـ تـُ وقانـلٍ : لـلـه ذرّة (٨٩)

وهو لايبالى أن يقول بمنتهى البساطة لزوجته ، التى كرهت أن يخرج للجهاد ويتركها والأولاد وحدهم ، أن تتخذ لها زوجاً من بعده إن لم يقدرّ له أن يعود من الميدان :

فإن رجعتُ فربُّ الناس يرجعنى وإن لحقتُ برى فابتغى بدلا (٩٠)

ومثله هذا التشبيه الذى يصور به من يترك من اعتدى عليه ويحاول الانتقام من غيره :

أتترك معشرا قتلوا هديلاً وتوعدنى يقتلنى من جُذام

.....

كذى داءٍ ياحدى خُصيتيه وأخرى ما تشكى من سقام

ألح على الصحيحة فاتحاهما بسكين له ذكـرٍ هـذام

فضمّ ثيابه من غير بُرءٍ على شعراء تُنقضُ بالبهام (٩١)

وحين يُكثّر خيال زوجته التى كان قد طلقها من زيارته فى المنام ، وكان لايزال يحبها فيما يبدو ، لا يتورّع عن أن يقذف بما فى صدره من حمم الغضب شامتا لاعناً متهكما بألفاظ اللغة

اليومية وعباراتها وعفويتها :

مالى ولابنة المجنون تطرقنى بالليل ؟ إن نهارى منك يكفينى

وشرّ خشو خبا، أنت مولجّه مجنونةً هُنباءً بنت مجنون  
تستخبث الوطْبِ لم تُنْقَضْ مررتُهُ وتقضم الحَبَّ صِرْفاً غير مطحون (٩٢)  
والطريف أن النابغة قد فعل عند ابن الزبير ما تهكم به على  
زوجته ، إذ يحكون (كما مرّ بنا ) أنه أخذ يأكل الحَبَّ صحيحاً  
بعد أن وسق له ابن الزبير منه أحمالاً ، وذلك من جوعه .

هذا ، وقد وجدت فى شعر النابغة أشياء تشبه أو تقارب ما

فى شعر ابن أبى سلمى :

عَفَتْ بعد حَى من سُلَيْمٍ وعامرٍ تفتانوا ودقوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمٍ (٩٣)

\*\*\*

تبصّر خليلي ، هل ترى من طعائن رحلن بنصف الليل من بطن مُنْعِمٍ  
وأصبحن كالسّوم النواعم غُدوةً على وجهٍ من طاعنٍ يتوسّمٍ (٩٤)

\*\*\*

أكنى بغير اسمها وقد علم اللـ ه خفيات كل مكتّم (٩٥)

وأخيرا نختم هذا الفصل ببعض الملاحظات اللغوية :

إن كلمة « أكثر » فى البيت التالى ، وهى خبر لمبتدأ ، قد

نُصِبَتْ تَجَنِّباً للإقواء ، وحقها الرفع :

كذاك لعمري الدهر يومان ، فاعرفوا : شرٌّ وخيرٌ ، لا بل الشرُّ أكثرا (٩٦)

والفعل « يجعل » فى البيت التالى جاء بعد « لن »

الناصبة ، ومع ذلك جُزم :

إذا افتخر الأزدى يوماً فقل له : تأخر فلن يجعل لك الله مفخرا (٩٧)

واستعملت « التقوى » فى البيت التالى مذكرة :

أقيم على التقوى وأرضى بفعله وكنت من النار المخوفة أوجزا (٩٨)

والمشهور استعمالها مؤنثة . ومن النصوص التى وجدتھا فيها أيضا

مذكّرة أول خطبة خطبها الرسول عليه السلام بالمدينة وقال فيها :

« إن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عونٌ صدق

على ماتبعون من أمر الآخرة ... وإن تقوى الله يوقى مقته ويوقى

عقوبته ويوقى سخطه ، وإن تقوى الله يبيض الوجوه ويرضى الرب

ويرفع الدرجة » (٩٩).

ويبدو لى إدخال « اللام » على كلمة « كتاب » فى البيت

التالى ركيكا :

طلبوا المجد ، فلما أدركوا لكتابٍ وانتهى ذاك الأجل (١٠٠)

كما أن نص الشاعر فى البيت التالى على أن ابن جعفر كان

مغلولا ( بل ومكبلا أيضا ) بعد أن قال فى الشطرة الأولى إن

عبدالله أطلق غلّه لامعنى له ، فهى زيادة دون داع :

وأطلق عبدُ الله غلَّ ابن جعفر عُلَاةً مغلرلاً يُقَادُ مكَبَلا (١٠١)

وبالمثل لم يوفق الشاعر فى البيت التالى ، إذ وضع جملة

« ألا كذبوا » الاعتراضية فى موضع يفصّ بها ، علاوة على أن

تكرير « ألا » فى جملة واحدة قد جعل البيت ثقيلًا :

ألا زعمت بنو كعبٍ بانئى - ألا كذبوا - كبيرُ السنِّ فانى (١٠٢)

كذلك فى البيت الأخير من البيتين التالين :

فلا تنتهى أضغانُ قومى بينهم وسواتهم حتى يصيروا مواليا

موالى حلفٍ لاموالى قرابةٍ ولكن قطينا يُسألون الأثاوى (١٠٣)

نراه لم ينصب « موالى » الثانية رغم أنها معطوفة على « موالى » الأولى التى هى بدل من « مواليا » الموجودة فى البيت الأول والمنصوية خبرا لـ « يصيروا » . وهذا من ضرورات الشعر .

أما فى قوله :

ولكن أخو العلياء والجودِ مالكُ أقام على عهد النوى والتصافيا (١٠٤)

فقد عكس الآية ، إذ نصب « التصافيا » وحققها الجرَّ عطفًا على « النوى » ، التى هى مضاف إليه .

ولاحظ « الباء » الداخلة على « الفرج » فى قوله :

نَضْرِبُ بالبيض ونرجو بالفَرْجِ (١٠٥)

ولا أقول إن ذلك غَلَطٌ ، ولكنى أحببت أن ألفت النظر إلى ذلك الاستعمال غير المألوف .

وانظر كذلك دخول الباء على الضمير بعد الفعل « اسأل »

فى البيت الآتى ، وعادة ما يُستعمل الحرف « عن » فى هذا الموضع :

واسأل بهم أسدا إذا جعلت حربُ العدو تشول عن عُمِّ (١٠٦)

وبالمناسبة ، فقد وردت « الباء » مع الفعل « سأل » فى القرآن الكريم ، فى قوله تعالى : « سأل سائل بعذابٍ واقع \* للكافرين ليس له دافع \* من الله ذى المعارج » ( ١٠٧ ) . غير أن هذا غير ذاك ، فالسؤال فى الآية سؤال الاستعجال والتهكم ، لأن الكافرين كانوا يسخرون من تهديد القرآن لهم بالعذاب ويتحدون الرسول أن ينزل بهم ذلك العقاب الذى يحذرهم منه . أما فى البيت فالفعل على معناه الأسمى ، وهو الاستفسار .

وبهذا نصل إلى ختام هذه الدراسة لشاعر مُخضرم كبير ظلمته أقوالٌ غير متأنية ولا ممحصة . ونرجو أن يكون ما كتبناه قد أعطاه حجمه الذى يليق به رغم الهنات التى وجدنا فى شعره ، إذ لا يخلو شعر شاعر ، بالغة ما بلغت عبقريته ، من هنات . وعلى الله التوفيق .

## الهوامش

- ١- شعر النابغة الجعدي / ٣٥ .
- ٢- السابق / ٩٧ - ٩٨ .
- ٣- لعبيد الله بن قيس الرقيات قصيدة تبدأ بمقدمة مثل هذه المقدمة ، وهي القصيدة التي مطلعها :  
أفقرتُ بعد عبد شمسٍ كدأُ      فكسديُّ فالركنُ فالبطحاءُ  
( ديوان عبدالله بن قيس الرقيات / تحقيق د. محمد يوسف نجم / دار صادر ودار بيروت / ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م / ٨٧ ومابعدها ) .
- ٤- شعر النابغة الجعدي / ١٦٦ ومابعدها .
- ٥- السابق / ١٣ ، ٢٣ - ٢٤ .
- ٦- السابق / ٦١ .
- ٧- السابق / ٩٧ .
- ٨- السابق / ١٦٩ .
- ٩- السابق / ١٩١ .
- ١٠- السابق / ٢١٨ . والتيمن : توسيد الميت يمينه في القبر .
- ١١- السابق / ٢١٩ .
- ١٢- السابق / ٢٢٦ .
- ١٣- السابق / ٢٣٩ .
- ١٤- السابق / ١٣ .
- ١٥- السابق / ١٠٠ .
- ١٦- السابق / ١٧٠ .
- ١٧- السابق / ١٧٢ .
- ١٨- ويمكن للقارىء أن يجعلها في ص / ٣٦ ، ٧٨ ، ١٦٠ من الديوان .



- ١٩- شعر النابغة الجعدى / ١٣ .
- ٢٠- السابق / ٩٨ .
- ٢١- السابق / ١٢٤ .
- ٢٢- السابق / ١٧٢ - ١٧٣ .
- ٢٣- السابق / ١٩٤ .
- ٢٤- السابق / ٢٠٦ .
- ٢٥- السابق / ٣٢ .
- ٢٦- السابق / ١٥١ والضرّو : شجر طيب الرائحة يستاك به ويُجعل ورقه فى العطر .
- ٢٧- السابق / ١٨٩ .
- ٢٨- السابق / ٢١٣ .
- ٢٩- يمكن الرجوع فى ذلك إلى ص / ١٢٤ ، ١٢٦ ، ٢٠٢ ، ٢٣٧ .
- ٣٠- ص / ٢٦ .
- ٣١- ص / ٧٥ . وهو كقولنا الآن : « يبيع الماء فى حارة السقائين » .
- ٣٢- ص / ٢٢٠ . وجعار : الضبع . والمعنى : هذه فرصة لم تكونى تطعمين فيها .
- ٣٣- ص / ٩ . وهو من قوله تعالى فى سورة « الصف » : « نصر من الله وفتح قريب » .
- ٣٤- ص / ٨٣ . وعبارة « لا مساس » هى من كلام السامرى فى سورة « طه » .
- ٣٥- ص / ١٥٨ . وهو من قوله عزّ وجلّ : « فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » فى سورة « النساء » .
- ٣٦- ص / ١٧٦ . وهو من قوله تعالى : « بلغت التراقي » فى سورة « القيامة » .
- ٣٧- تشبهاً فى ذلك قصيدة الصحابى النعمان بن بشير، رضى الله عنه ، التى مطلعها :

صادق تشعر منه الجلود

قد أتاكم مع النبى كتاب

- انتظر « شعر النعمان بن بشير » / تحقيق د. يحيى الجبورى / مطبعة المعارف /  
بغداد / ٨٩ .
- ٣٨- شعر النايفة الجعدى / ١٦٣ .
- ٣٩- ص / ١٨٣ .
- ٤٠- ص / ١٩٦ .
- ٤١- ص / ٢٠٥ .
- ٤٢- ص / ٢٠٨ .
- ٤٣- ص / ٢٧ .
- ٤٤- ص / ٧٢ .
- ٤٥- ص / ٩٦ .
- ٤٦- ص / ١٠١ .
- ٤٧- ص / ١٦٥ .
- ٤٨- ص / ٢٣٤ .
- ٤٩- هذه السمة موجودة أيضا فى شعر بشار ، الذى أنوى القيام بدراسته واستخلاص  
ملاحظه .
- ٥٠- ص / ٢٣ .
- ٥١- ص / ١٨٠ .
- ٥٢- نفس الصفحة السابقة .
- ٥٣- ص / ٢٠٥ .
- ٥٤- ص / ٢٠٧ .
- ٥٥- ص / ٢١٠ .
- ٥٦- ص / ٢٣٠ .
- ٥٧- ص / ١٥٣ .
- ٥٨- ص / ١٧٠ .

٦٠- ص / ١٧٣ .

٦١- ص / ١٨٢ .

٦٢- ص / ٢٢٩ .

٦٣- ص / ٢٣٠ .

٦٤- ص / ٩ . و « الصُّهَابِيُّ » الأحمر . والمقصود « الموت الرهيب » .

٦٥- ص / ٢٣ .

٦٦- يشتفن : يشوفن . وبوائن الأَشْطَان : الآبار الواسعة التي لاتمسّ أشطانها ( أي جبالها ) جوانبها .

٦٧- هايج ذلك الثورُ البقرَ .

٦٨- ص / ٤٢ .

٦٩- ص / ٧٣ .

٧٠- ص / ٩٨ .

٧١- ص / ١٠٠ .

٧٢- ص / ١١٠ .

٧٣- ص / ١٧٦ .

٧٤- انظر تنوع الشاعر على هذه الكناية في قوله : « ما أقام ابنا شمام » ، يقصد

هضبتين في ديار قومه / ص ٢٠٠ .

٧٥- ص / ١٨٥ .

٧٦- ص / ٢١٢ .

٧٧- ص / ٧١ .

٧٨- ص / ٨١ .

٧٩- ص / ١٠١ .

٨٠- نفس الصفحة .

- ٨١- ص / ١١١ .
- ٨٢- ص / ٢٠٧ .
- ٨٣- ص / ١١٨ . والتشهاق : الشهيق . وخلا : انفصل . ومُفْتَصِّلا : منزوعا .  
ومثلها « مُفْتَلِيٌّ » . وما ائتلى : ما قَصَّرَ .
- ٨٤- ص / ١٦٩ .
- ٨٥- ص / ١٨٢ .
- ٨٦- ص / ٢٠٤ .
- ٨٧- ص / ٧٠ .
- ٨٨- ص / ٧٢ .
- ٨٩- ص / ١٩٠ .
- ٩٠- ص / ١٩٤ .
- ٩١- ص / ٢٠١ - ٢٠٢ .
- ٩٢- ص / ٢٠٩ .
- ٩٣- ص / ١٣٩ .
- ٩٤- ص / ١٤١ .
- ٩٥- ص / ١٥٠ . ويلاحظ أن الفعل « يتوسم » قد كُسرَت ميمه بما يروحى أنه  
مجزوم ، مع أن حقه الرفع .
- ٩٦- ص / ٦٩ .
- ٩٧- نفس الصفحة السابقة .
- ٩٨- ص / ٧٤ .
- ٩٩- تاريخ الطبرى / ٢ / ١١٥ .
- ١٠٠- شعر اثنابغة الجعدي / ٩٨ .
- ١٠١- السابق / ١١٩ .
- ١٠٢- ص / ١٦٢ .

- . ١٠٣ - ص / ١٧٨ .
- . ١٠٤ - ص / ١٧٩ .
- . ١٠٥ - ص / ٢١٦ .
- . ١٠٦ - ص / ٢٣٦ .
- . ١٠٧ - المعارج / ١ - ٣ .

## المصادر والمراجع

- \* القرآن الكريم .
- \* ابن خلدون / مقدمة ابن خلدون / دار الشعب / القاهرة .
- \* ابن رشيقي / العمدة / تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد / المكتبة التجارية الكبرى / ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- \* ابن سلام / طبقات فحول الشعراء / تحقيق محمود شاعر / مطبعة المدنى / القاهرة .
- \* ابن عبد البر / الاستيعاب / المطبعة الشرقية / القاهرة .
- \* ابن عبد البر / الاستيعاب / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة .
- \* ابن قتيبة / الشعر والشعراء / تحقيق أحمد شاعر / دار المعارف .
- \* ابن ماجة / سنن ابن ماجة .
- \* ابن نباتة / سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربى / ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- \* أبو زيد القرشى / جمهرة أشعار العرب / جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- \* أبو سعيد السكرى / شرح ديوان كعب بن زهير / الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- \* أبو هلال العسكري / الصناعتين / الآستانة / ١٣٢٠ هـ .

\* أحمد الإسكندري ومصطفى عناني / الوسيط في الأدب العربي

وتاريخه / دار المعارف / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

\* الأصفهاني / الأغاني / مؤسسة عز الدين / بيروت .

\* البخاري / صحيح البخاري .

\* البغدادي / خزانة الأدب / المطبعة الأميرية / ط ١ .

\* بلاشير / تاريخ الأدب العربي / ترجمة د. إبراهيم الكيلاني /

دار الفكر / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

\* الثعالبي / خاصّ الخاصّ / القاهرة / ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

\* جرجى زيدان / تاريخ الآداب العربية / مراجعة وتعليق د. شوقي

ضيف / دار الهلال .

\* حنا الفاخوري / تاريخ الأدب العربي / المطبعة البولسية .

\* د. خليل إبراهيم أبو ذياب / النابغة الجعدي - حياته وشعره /

دار القلم ( دمشق ) والمنارة ( بيروت ) / ط ١ / ١٤٠٧ هـ -

١٩٨٧ م .

\* الخنساء / ديوان الخنساء / دار الأندلس / بيروت / ط ٩ /

١٩٨٣ م .

\* د. سامى مكى العانى / الإسلام والشعر / عالم المعرفة

( ٦٦ ) / الكويت / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

\* السجستاني / المعمرن والوصايا / تحقيق عبد المنعم عامر /

عيسى البابى الحلبي / ١٩٦١ م .

\* د. سعود محمود عبد الجبار / شعر الزبيرقان بن بدر وعمرو بن

الأهتم - دراسة وتحقيق / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ١ /  
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

\* السيد أحمد الهاشمي / جواهر الأدب / المكتبة التجارية  
الكبرى / ط ٢١ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

\* د. شوقي ضيف / العصر الإسلامي / دار المعارف / ط ٧ .

\* د. صلاح الدين الهادي / الأدب في عصر النبوة والراشدين /  
مكتبة دار العلوم / القاهرة / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

\* الطبري / تاريخ الطبري / ليدن .

\* د. عباس الجراري / من أدب الدعوة الإسلامية / دار

الثقافة / الدار البيضاء / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م .

\* عبد الحليم الحفنى / الشعراء المنضرمون / الهيئة المصرية

العامة للكتاب / ١٩٨٣ م .

\* عبد الرحمن البرقوقي / شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري /

المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م .

د. عبد القادر القطّ / فى الشعر الإسلامى والأموى / مكتبة

الشباب / القاهرة / ١٩٨٢ م .

\* عبد الله بن قيس الرقيات / ديوان عبد الله بن قيس

الرقيات / تحقيق د. محمد يوسف نجم / دار صادر ودار بيروت /

١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .

\* د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان / العباس بن مرداس السلمى

الصحابى الشاعر / دار المريخ / الرياض / ط ١ / ١٣٩٨ هـ -



١٩٧٨ م .

- \* د. عز الدين إسماعيل / المصادر اللغوية والأدبية فى التراث العربى / دار النهضة العربية / بيروت / ١٩٧٦ م .
- \* العسكرية / المصون فى الأدب / تحقيق عبد السلام هارون / الخانجى بالقاهرة ، والرفاعى بالرياض / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- \* د. عفيف عبد الرحمن / معجم الشعراء الجاهليين والمخضمين / دار العلم / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- \* عمر رضا كحالة / الأدب العربى فى الجاهلية والإسلام / المطبعة التعاونية / دمشق / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- \* د. عمر فروخ / تاريخ الأدب العربى / دار العلم للملايين / بيروت / ط ٤ / ١٩٨١ م .
- \* عمرو بن معديكرب الزبيدى / شعر عمرو بن معديكرب الزبيدى / جمع وتحقيق مطاع الطرايشى / مجمع اللغة العربية بدمشق / ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- \* غوستاف فون غرونباوم / دراسات فى الأدب العربى / ترجمة د. كمال يازجى / بيروت / ١٩٥٩ م .
- \* المبرد / الكامل / تحقيق زكى مبارك وأحمد شاکر / البابى الحلبي .
- \* د. محمد إبراهيم جمعة / حسان بن ثابت / دار المعارف / ١٩٦٥ م .
- \* د. محمد خضر / أدب صدر الإسلام / بيروت / ١٤٠١ هـ -

١٩٨١ م .

- \* د. محمد طاهر درويش / حسان بن ثابت / دار المعارف / مكتبة الدراسات الأدبية رقم ٤٣ .
- \* د. محمد عبد العزيز الكفراوى / الشعر العربى بين الجمود والتطور / دار نهضة مصر / القاهرة / ط ٢ .
- \* د. محمد عبد المنعم خفاجى / الحياة الأدبية فى عصر صدر الإسلام / دار الكتاب اللبنانى / بيروت .
- \* د. محمود حسن أبو ناجى / شعراء العرب الفرسان فى الجاهلية وصدر الإسلام / مؤسسة علوم القرآن / دمشق وبيروت / ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- \* المرتضى / أمالى المرتضى / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / عيسى البابى الحلبي / ط ١ / ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م .
- \* المرزبانى - معجم الشعراء / تحقيق عبد الستار أحمد فراج / البابى الحلبي / القاهرة / ١٩٦٠ م .
- \* المرزبانى / الموشح / تحقيق على محمد البجاوى / دار نهضة مصر / القاهرة / ١٩٦٥ م .
- \* معن بن أوس المزنى / ديوان معن بن أوس المزنى / صناعة د. نورى حمود القيسى وحاتم صالح الضامن / دار الجاحظ / بغداد / ط ١ / ١٩٧٧ م .
- \* نابغة بنى شيبان / ديوان نابغة بنى شيبان / دار الكتب المصرية / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

- \* النابغة الجعدى / ديوان النابغة الجعدى / تحقيق عبد العزيز رباح / المكتب الإسلامى / دمشق / ط ١ / ١٣٨٤م - ١٩٦٤ م .
- \* د. ناصر بن سعد الرشيد / سوق عكاظ فى الجاهلية والإسلام / دار الأنصار / القاهرة / ط ١ / ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- \* النعمان بن بشير / شعر النعمان بن بشير / تحقيق د. يحيى الجبورى / مطبعة المعارف / بغداد .
- \* د. يحيى الجبورى / شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ٢ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- \* د. يوسف خليف / حياة الشعر فى الكوفة / دار الكتاب العربى / القاهرة / ١٩٦٨ م .

\* Arabic Literature to the End of the Umayyad Period , Cambridge University Press , 1983 .

\* Nicholson , A Literary History of the Arabs , Cambridge University Press , 1979 .

## الفهرس

- ٣ - ١ المقدمة
- ٥ - ٢ حياة النابغة وشخصيته
- ٣١ - ٣ شعره وموضوعاته
- ٥٢ - ٤ تحديد نسبة قصيدة « الحمد لله لا شريك له »
- ٥٨ - ٥ الرأى فى شعر النابغة
- ١٠٧ - ٦ السمات الفنية فى شعر النابغة
- ١٣٣ - ٧ المراجع والمصادر

دار النهضة العربية  
 ٣٢ ش عبد اسحاق ثروت - القاهرة